الفيصل

- د. المسيري: الصهيونية العالمية وهم كبير!
- تتارستان: رؤية من الداخل
- القبة في العمارة الإسلامية

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٨٢ - ربيع الآخر ١٤٢٩هـ - أبريل ٢٠٠٨م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 382 - April 2008

سوق الأوراق المالية عالم من الأسرار



شهد سوق الأوراق المالية في المملكة تطوراً ملموساً في السنوات الأخيرة، توجهاً لسياسة الدولة نحو التخصيص، وفتح المجال للقطاع الخاص بشكل أكبر للمشاركة في تحقيق التنمية الاقتصادية. كما أن لانضمام المملكة العربية السعودية إلى منظمة التجارة العالمية، والدخول في المنافسة الدولية، دوراً كبيراً في ذلك، فما ملامح هذا السوق؟ ومامعايير أدائه؟

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد

الوطنية ١٤٥٠/٢٤/١
ردمد ٠٤١١ ـ ٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٠٨٠ فلساً. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٥٧٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤جنيهات. السودان ١٥ جنيهاً. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١،٢٥٠دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢ ـ ... سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ ـ ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٢نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



رسائلكم

التعريف بالمكتبات

إنني واحد من المهتمين والمعجبين بهذه المجلة الفيصل الغالية على قلوبنا، فالجميع معجبون بها، وينهلون منها الإبداع والثقافة الفذة في جميع مستويات العلوم والآداب.

وإنني إذ أتقدم إليكم باقتراح - لعله يكون ذا فائدة عظيمة - وهو إطلاع قرّاء المجلة على عناوين بعض المكتبات الزاخرة بالعلم والمعرفة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج المتوافرة لديكم؛ وذلك لسهولة الاتصال بها، والاطلاع على ما فيها من معرفة تفيد القراء في شتى المجالات العلمية والأدبية.

وتفضلوا بقبول فائق التحية، ووافر التقدير.

أم داود كمال الدين الأفغاني
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٣٦٧٤ مكة المكرمة ٢١٩٥٥

التحرير

نشكر لك اهتمامك، والفكرة التي طرحتها جيدة، ولكن لعلك لاحظت أن التعريف بالمكتبات يشتمل على إشارة إلى دور النشر والمكتبات، ومن السهل الاتصال بها لمن شاء.

كما أن المجلة قامت باستطلاعات عن كثير من المكتبات في العالم.

البعد الجمالي

لقد تابعت التطورات الجديدة التي استحدثتها إدارة التحرير في المجلة، وأعجبني كثيراً تخصيص ملف في كل عدد عن موضوع حيوي، ولاحظت ما يبذل من جهد في إعداده وإخراجه فنياً، وهو ما يستحق الإشادة.

وقد أعجبتني هدية «الفيصل» في الغلاف الأخير، وهذا نوع من التجديد الذي يعكس أسلوب تفكير الإدارة، فالبعد الجمالي يعد ضرورياً، وهذه الهدية أسبغت ذلك البعد على المجلة.

أكرر الإشادة بالتطورات سواء على صعيد التحرير، أو الإخراج، وأتمنى لكم التوفيق.

القارئ الدائم للمجلة
أشرف أبو بكر محمد حيدر
شبرا مصر - القاهرة- مصر

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونتمنى أن تكون الخطوات التطويرية للمجلة تعجب جميع القراء، ونأمل موافاتنا باقتراحاتهم من أجل المزيد من التطوير والتحديث.

كولومبس وديليسبس

لقد كان موضوع (كولومبس) رائعاً في معلوماته وطريقة سردها، واستطاع الدكتور سمير عطا أن يضفي التشويق والإثارة على القصة، وجاء الملف حافلاً بمتعة جميلة.
وإنني إذ أشكر للمجلة أمل الاستمرار في فتح ملفات تكشف الأسرار، وتلقي الضوء على جوانب معتمة في التاريخ، ومسلمات نتداولها من غير أن نسبر أغوارها.
وأتمنى أن يكون هناك ملف عن الفرنسي فرديناند ديليسبس وعلاقته بقناة السويس، ففي ظني أن هذه العلاقة ذات أبعاد أخرى مرتبطة بتاريخ منطقتنا في ذلك الزمن، وهي لا تزال ذات امتدادات في واقعنا الحالي.
ولكم تحياتي.

طارق أحمد العلوي

الرياض - المملكة العربية السعودية

التحرير:

نشكر لك متابعتك واهتمامك، ونأمل أن نتمكن من تحقيق رغبتك. ونتفق معك في أن هناك في حركة الحياة مسلمات كثيرة تحتاج إلى التنقيب لكشف الحقائق حولها.

ردود سريعة....

بوعرعارة زويبي - تبسة الجزائر

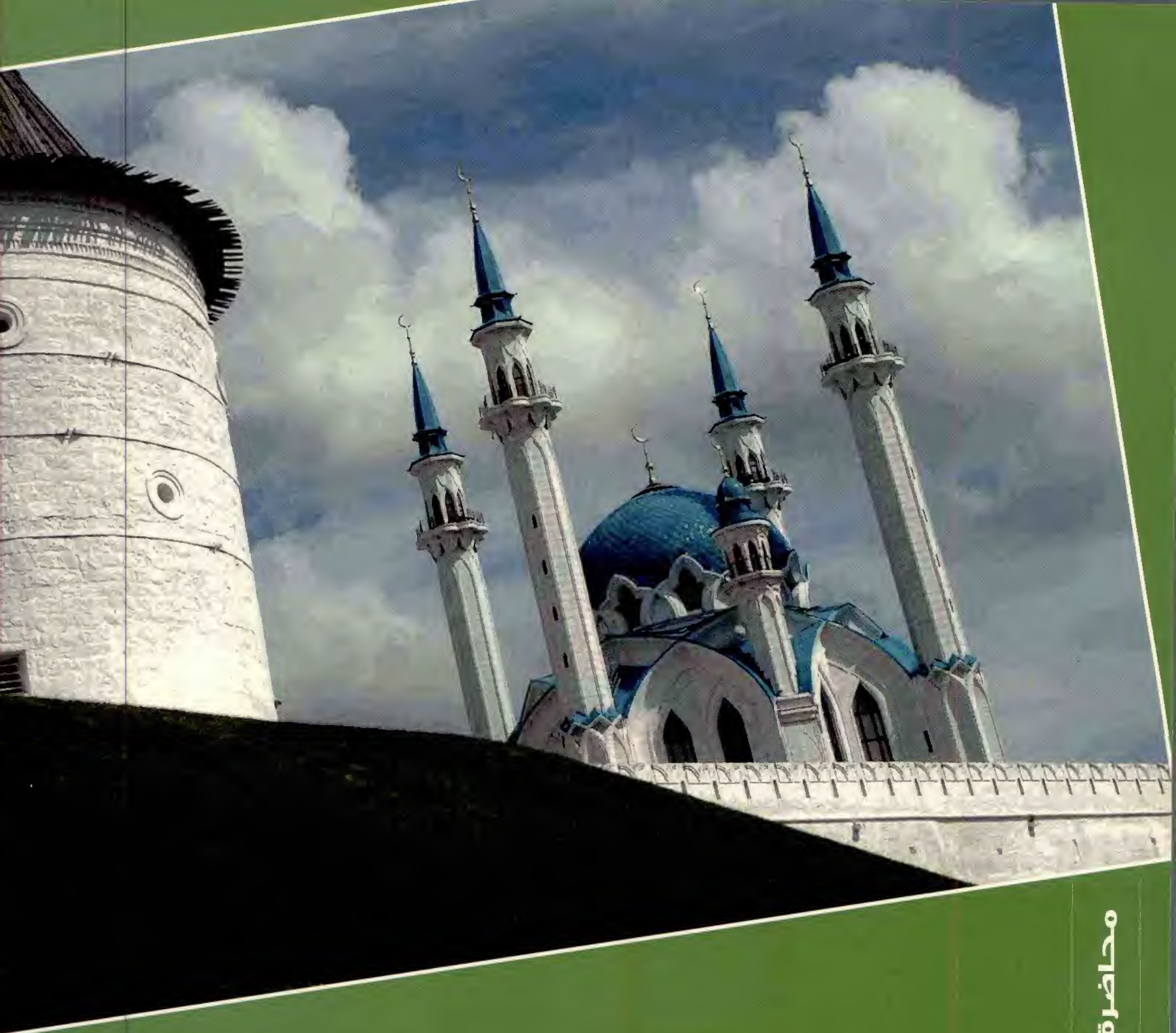
لعل من المفيد تحديد ما تريد بدقة؛ ليمكن النظر فيه، وتلبيته إذا أمكن ذلك، ونشكر لك اهتمامك ومتابعتك.

زروق ماهر علي أحمد - الشمالية - السودان:

لا نزال نبذل الجهد لحل مشكلة التوزيع في السودان، ويفضل الاشتراك للذين لديهم رغبة في اقتناء المجلة شهرياً حتى تصلهم الأعداد بانتظام.

محمد أحمد السراج - دمشق - سورية:

لا يمكن الحكم على المقالة من خلال ملخص لها، لذا لابد أن يكون التقويم بعد قراءة المقالة بكاملها، وبالنسبة إلى الاستطلاعات، نأخذ في الحسبان مدى جودة الصور، وهناك استطلاعات جيدة من الناحية التحريرية، إلا أن تأخر نشرها يكون بسبب نقص الصور، ومحاولتنا الحصول عليها بوسائل مختلفة.



محاضرة

تتارستان:

رؤية من الداخل

الفيصل

مينتيمير شريف الله شايمييف

رئيس جمهورية تتارستان



اسمحوا لي - في البداية - أن أعبر عن بالغ التقدير والعرفان لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز؛ للاهتمام البالغ، ولكرم الضيافة الذي أوليتموه لنا.

إنه لشرف عظيم بالنسبة إلي أن أتحدث اليوم في هذا المركز المرموق - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - وأن أقدم للحضور الكرام صورة عن جمهورية تتارستان، وهنا تقف أمامي مهمة صعبة، وهي أن أتحدث - وفي وقت وجيز - عن تاريخ شعبي الغني وغير السهل.

تقع جمهورية تتارستان على نهر الفولغا، وتبعد مسافة ٨٠٠ كيلومتر عن مدينة موسكو، وتمثل منطقة الفولغا العمود الفقري لروسيا الاتحادية، حيث تتمركز الصناعة هنا بصورة أساسية، وهنا تشكلت خطوط المواصلات، وثقافة كثير من شعوب بلادنا، حيث يعيش أكثر من ٥٧ مليون نسمة، أو ٤٠٪ من مجموع سكان روسيا الاتحادية. (تبلغ مساحة جمهورية تتارستان ٦٨ ألف كيلومتر مربع، وبعدد سكاني يبلغ ٤ ملايين نسمة تقريباً، ويشكل التتار أكثر من النصف(إن من أهم مميزات جمهوريتنا، أن لدينا تقريباً العدد نفسه من السكان المسلمين والأرثوذكس، ويعيش في الجمهورية أيضاً نسبة من اليهود، والكاثوليك، والبروتستانت، وهنا يجب تأكيد أن لدينا الإمكانية للعيش بصورة مشتركة وهادئة. لقد خلقنا الله تعالى مختلفين ومتحدثين بلغات مختلفة، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)

إن تتارستان من أكثر الجمهوريات تطوراً في المجالين الصناعي والثقافي. ونحن لا نستخرج النفط فقط، بل نقوم بتكريره، وننتج جميع أنواع المطاط، بل ونقوم بصناعة سيارات الشحن المعروفة عالمياً «كماز»، وسيارات النقل الخفيفة، وكما تعرفون فإنه في سباق السيارات باريس - داكار يحتل «كماز» وبصورة دائمة مقاعده بين الفائزين، ويقوم كثير من البلدان بشراء سياراتنا التي أثبتت قدرتها على تحمل الصحراء والجبال، وتقدم إلينا كثير من الطلبات لشراء البوليثيلين وإطارات السيارات، وغيرها من الصناعات الكيماوية، التي تنتج في بلادنا، وتشتهر بصورة واسعة الطائرات المروحية التي تصنع في مدينة قازان،سواء المدنية منها، أو العسكرية، وتوجد في مدينة قازان مصانع لتصنيع الطائرات.









ومحركان الطائرات، والأجهزة، وضاغطات الهواء (كومبرسور).

يوجد في تتارستان عدد من الجامعات ذات الشهرة العالمية، من بينها جامعة قازان الحكومية، التي أصبح رئيسها في القرن التاسع عشر واحداً من أشهر علماء الرياضيات هو البروفيسور لوباتشيفسكي، الذي اخترع الهندسة غير التقليدية. وفي قازان - عاصمة جمهوريتنا ولدت الكيمياء العضوية، في القرن العشرين، وتمّ اكتشاف تأثير الرنين المغناطيسي الذي يستخدم اليوم بصور واسعة في أجهزة المقاييس الطبّية، وفي تشخيص كثير من الأمراض، وقد درس في جامعات قازان عدد من الشخصيات المشهورة، منهم: لينين، وليف تولستوي، وغيرهم من عظماء العلم. (وقد كانت جامعة قازان التي احتفلت في السنة الماضية بالذكرى المئتين لتأسيسها هي أول جامعة عنيت بتدريس اللغة العربية، وغيرها من اللغات الشرقية. لقد دخلت اللغة العربية في حياتنا من مدة بعيدة جداً، وذلك عن طريق المدارس الإسلامية المختلفة، ولكن بفضل الله تعالى، ثم بفضل جامعة قازان، فقد تزايد انتشار اللغة العربية لاحقاً في كل روسيا.

وفي الجمهورية كثير من الجامعات، ففي جامعة التكنولوجيا يتخصصون في مجال النفط وتكريره، وفي جامعة التكنيكا يتخصصون في مجال الطيران وعلومه، وفي هذه الجامعة عمل صانعا محركات الطائرات النفاثة في روسيا الاتحادية كوروليوف وغلوشكو، إلى جانب ذلك هناك جامعة الطب التي تشتهر في أنحاء روسيا وغيرها من الجامعات، والمعاهد، والمؤسسات التعليمية الأخرى، وتقوم أكاديمية العلوم لجمهورية تتارستان بالبحث في كثير من المسائل، بما فيها تلك المسائل المتعلقة بالإسلام، إن كل ما ذكر آنفاً يعد موضوع اعتزاز بالنسبة إلينا.

تعد تتارستان مركزاً فريداً، فهناك عادات من عقود غابرة لتعايش مختلف الشعوب والديانات والثقافات، إن الشعوب التي تدين بديانات مختلفة قد تعلمت الصبر المتبادل خلال عدة قرون من العيش المشترك؛ وقبول الآخر، وأوجدوا في انفسهم قدرة السعي إلى معرفة ثقافة الآخر وفهمه واحترامه، وحب السلم والهدوء، ومعرفة قيمتهما في الحياة. لقد فهموا أن الديانة لا تعد عاملاً لتقسيم الناس والثقافات، بل بالعكس تعد عاملاً للثراء الروحي والتطور البناء، لقد ظهر في تتارستان طراز فريد للتفاهم بين الديانات المختلفة، وتوطيد الاستقرار بين المجموعات الإثنية المختلفة، واستطاعت أن تظهر فاعليتها، والآن يدرس هذا الطراز في كل أنحاء العالم.

إن استقرار الوضع السياسي الداخلي في جمهورية تتارستان ساعد على توقيع اتفاقية بين روسيا الاتحادية وتتارستان في عام ١٩٩٤م، حول تحديد المهام، التي أصبحت الجمهورية بفضلها واحدة من أكثر مقاطعات روسيا استقراراً وتطوراً، وتوقيع اتفاقية جديدة في العام الماضي؛ وفقاً للقوانين الجديدة، تعطي مقدمات جيدة للتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وبصورة ديناميكية متلاحقة في جمهورية تتارستان.

والآن دعوني أحدثكم قليلاً عن تاريخ شعبنا، كان أجدادنا التتار - الغوني (الهُون) والبلغار يتنقلون من مكان إلى آخر، وبعد ذلك بدؤوا في بناء المدن، وفي عام ٢٠٠٥م احتفلنا بالذكرى الألفية لتأسيس مدينة قازان، وهناك مدن قديمة كمدينة بلغار، حيث تم اعتناق الإسلام فيها في القرن العاشر، وعند ذكر بلغار يبدو أننا نتخيل بلغاريا على الدانوب، وهذا ليس من سبيل المصادفة،




فالواقع أنه إلى ما قبل القرن السابع كانا شعباً واحداً، بعد سقوط إمبراطورية (أتيلا) الهونية حدث تقسيم الهون الغربية، قسم أسس دولة على نهر الدانوب في الوقت الحاضر بلغاريا، والقسم الآخر واصل الرحيل إلى الفولغا، وأسس بلغاريا الفولغا، وهي على الأرض التي تقع عليها تتارستان الحديثة. إن ازدهار بلغاريا الفولغا بني على أساس التجارة في شواطئ الأنهار الكبيرة، موحدة الفرس




وبغداد مع شمال أوربا، إن مرور طريق الحرير الذي مر عبر آسيا احتل جنوب تتارستان، وقد حدث تاريخياً أن أرضنا وقعت على مفترق خطوط الاتصالات العالمية.

تسمية التتار ظهرت في وقت متأخر قليلاً، ولكن التتار والبلغار من جذر واحد - أحدهم كان ألهون الغربيين، والآخرون ألهون الشرقيين.

يعيش التتار اليوم بصورة أساسية في روسيا الاتحادية، إذ يحتلون المركز الثاني بالنسبة إلى سكان روسيا، وعدد غير قليل من التتار يعيش في آسيا، وعدد من بلدان أوربا الشرقية، ويبلغ عدد التتار في جميع أنحاء العالم أكثر من ٧ ملايين نسمة، وبشكل أساسي معظمهم من المسلمين، وعدد ليس كبيراً يدينون الديانة الأرثوذكسية، ثقافياً يقترب التتار من الكازاخ والترك والأوزبك وبعض الشعوب التركية، وفي لغتنا هناك كثير من العبارات والكلمات العربية والفارسية، وهنا - من دون شك - يظهر تأثير الإسلام.

في ١٦ مايو عام٩٢٢م اعتنق أجدادنا الإسلام، ديانة رسمية في منطقة فولغا البلغاري، التي كانت الدولة الأولى على مساحة الدولة التتارية الحديثة. ومن ذلك الوقت يسمون تتارستان المخفر الشمالي للعالم الإسلامي.

دخل الإسلام بلادنا في وقت مبكر، ولكن فقط في القرن العاشر خرج البلغار على المستوى العالمي، وأصبحوا يؤثرون في سياسة أوربا الشرقية، وهكذا وصلت من بغداد سفارة على رأسها ابن فضلان، وهنا تمّ اعتناق الإسلام بصورة رسمية ديانة للدولة، لقد استمرّت رحلة سفارة الخليفة البغدادية إلى عاصمتنا التاريخية عاماً كاملاً، وقد باركتنا سفارة الخليفة البغدادية للقيام بأعمال عظيمة،



ونقلت إلينا الثقافة التي نعتز بها كثيراً، لم يكن التاريخ في يوم من الأيام سهلاً، كانت فيه الحروب والتجارة وتبادل المنجزات الثقافية.

في وقت متأخر عندما أصبحت بلغاريا الفولغا جزءاً من الدولة الجديدة - الخانية الذهبية، لم يفقد الإسلام موقعه في المنطقة، بل بالعكس تعزز، وخلال ثلاثمئة عام من وجود هذه الدولة العظيمة تشكلت ثقافة شعبنا ولغته وعاداته وتقاليده، التي احتفظ بها حتى يومنا هذا.

في القرن الخامس عشر انهارت دولة الخانية الذهبية، وفي عام ١٥٥٢م قام إيفن الرهيب باحتلال خانيت قازان، وأسترخان، وسيبيريا، والدولة التتارية الأخيرة - الكريمية احتلّت في القرن الثامن عشر، وقد عرفت حياة التتار في إطار الإمبراطورية الروسية صعوداً وهبوطاً. إن انتعاش الشعب بدأ بعد قرار الملكة كاثرين الثانية التعايش الديني، إننا فخورون أن أول طبعة إسلامية في العالم للقرآن الكريم قد طبعت في عام ١٨٠٢م في مدينة قازان.

تسمية التتار ظهرت في وقت متأخر قليلاً، ولكن التتار والبلغار من جذر واحد - أحدهم كان الهون الغربيين، والآخرون الهون الشرقيين.

إن الصفحة المهمة لتاريخ روسيا يكمن في أن نذكر الحركة الدينية والإسلامية والاجتماعية والتبشيرية، التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر، واستحقت اسم التجديد، والتي كان حجر أساسها العلم، والانفتاح على الثقافات الأخرى، والتسامح الديني، وبذلك ولد كثير من تقاليد الحضارة الإسلامية الحديثة، في مركز اهتمام المفكرين الدينيين التتار أصبحت الآفاق التقدمية للإسلام دافعاً روحياً للتطور الثقافي والعلمي للمجتمع الإسلامي. إن مثل هذا الأسلوب سهّل تفجير القوة الكامنة في قلوب أبناء شعبنا.

في بداية القرن العشرين كان عند التتار البنية التحتية للتطور الثقافي والاجتماعي المتلاحق، ولكن مع الأسف، فإن الانقلاب الحاد في التاريخ بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧م أدّى إلى أنه في مدة سبعين سنة للسلطة السوفيتية كانت روسيا مرغمة على العيش في ظروف المجتمع الموحد، والمنغلق، والملحد، وعلى الرغم من الانغلاق إلا إن الدين ظل حيّاً في ضمير الناس وقلوبهم.

واليوم في المجتمع الروسي والدولة الروسية تسير عملية فعلية للنهوض الروحي، بما في ذلك عند المسلمين الروس، في روسيا الاتحادية يوجد اليوم أكثر من ستة آلاف مسجد، وتتزايد أعدادها بصورة مستمرّة، مثلاً إذا كانت قبل مرحلة إعادة البناء في تتارستان ٢٣ مسجداً ففي السنوات الخمس عشرة الأخيرة وصل عددها إلى ١١٥٠ مسجداً.

ويتوسع استخدام اللغة العربية بشكل عملي، ويتم





إصدار الصحف والمجلات الإسلامية، ويواصل الفكر الإسلامي تطوره المتلاحق، ويتم تقديم المساعدات لنشر الثقافة الإسلامية، والتربية والتعليم، والبحث العلمي، ويوجد برنامج تطوير التعاون مع المنظمات الدينية الإسلامية.

وفي هذا الوقت مازالت سنوات السلطة السوفيتية تلقي بظلالها، عندما تمّ اضطهاد خدمة الدين، واليوم نقوم بصورة نشيطة بإعداد المعلمين للمؤسسات التعليمية الدينية، وإلى الوقت الحاضر كان يتم إعدادهم في دول مختلفة، ولكن عند روسيا الاتحادية خصوصياتها وعاداتها، إنها بلد أرثوذكسي علماني على الرغم من أن ٢٠ مليوناً من سكانها من المسلمين، ومن الضروري الأخذ في الحسبان هذه الخصوصية. وفي عام ١٩٩٨م تمّ افتتاح الجامعة الإسلامية الروسية في قازان، وتعمل بصورة نشيطة، ويعمل إلى جانبها كثير من المدارس الإسلامية المتوسطة، التي تعنى بإعداد الأئمة.

تعاني روسيا الاتحادية من قلة البرامج المخصصة للتعريف بأسس الإسلام، ووجودها من دون شك يساعد - إلى حد كبير - على التربية الروحية لجزء معين من المجتمع، وفي الوقت الحالي في المجتمع الروسي تجري مناقشات حيّة، عن أساليب تدريس أسس الديانات المختلفة في المدرس الثانوية العامّة، ولا يوجد عندي شك في إيجاد أسلوب التعليم المناسب الذي يأخذ في الحسبان مصلحة الديانات العالمية الأساسية.

لقد كانت - وبشكل دائم - علاقات طيبة بين التتار والمملكة العربية السعودية، ففي وقت سابق كانت هناك بيوت لإقامة الحجّاج التتار في مكة المكرّمة، وفي المدينة المنورّة، كانت هناك مدرسة قازانية، ومسجد، وكانت تمتلك محلات تجارية خاصة، ومخازن، ومنازل الوقف، وقد كان في ذلك الوقت واحد من أبناء التتار يعمل محافظاً، واسمه إسماعيل أفندي. وأول قنصل سوفييتي في المملكة العربية السعودية كان من جذور تتارية، وهو كريم حكيموف. لقد عمل أجدادنا وبصورة نشيطة في مجال التجارة مع الدول العربية، ومن المفيد أننا ننعش اليوم هذه التقاليد.

بالنسبة إلى الجمهورية تؤدي العلاقات الدولية دوراً كبيراً، ومن دون حساب الاتجاهات العالمية يصبح من غير الممكن أن تحل مسائل التنافس التجاري، ولذلك فإن تتارستان تقيم - وبصورة نشيطة - علاقات تعاون مع بلدان اتحاد الدول المستقلة، والاتحاد الأوربي، ومنطقة المحيط الهادي الآسيوية، ونعطي أهمية خاصة للعلاقات مع بلدان الشرق الأدنى والأوسط، ويعمل في الجامعة التتارية الحكومية للتربية المركز الثقافي العربي (الحضارة)، وبصورة نشيطة وفعالية عالية، حيث تنظم أيام الثقافة العربية في جمهورية تتارستان، ولدينا علاقات التعاون النشيطة مع البنك الدولي ومنظمة اليونسكو العالمية. وفي مايو من العام الماضي تمّ - وبنجاح كبير- تنظيم الاجتماع السنوي لمجلس محافظي البنك الأوربي للتعمير والتنمية في مدينة قازان، وهذا يعد حدثاً تاريخياً، كما أننا نأمل في تحقيق الفوز لمدينة قازان كمرشح في منافستها من أجل تنظيم المسابقات الصيفية العالمية السابعة والعشرين للطلاب في عام ٢٠١٣م ، وتعمل بصورة ناجحة كل من قنصليتي تركيا وإيران.

ويعد منحي في العام الماضي جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لسنة ١٤٢٧هـ (٢٠٠٧م) بمنزله تقدير عال لمكانة تتارستان العالمية، ومكانة الشعوب المسلمة الأخرى، التي تعيش في روسيا الاتحادية.

إننا نرحب بتوطيد العلاقات بين روسيا الاتحادية والعالم الإسلامي وتطويرها، الذي تربطنا به علاقات الصداقة والتفاهم القديمة، وتجارب التعاون البناء. لقد أصبح تطوير العلاقات الإسلامية وتوطيدها اليوم من أولويات السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية.

وفي هذا المجال المهمّ لنا تستمر تتارستان - دائماً - لتكون ليست من المشاركين في هذا العمل، بل من مبادري إنشاء عدة مشروعات مشتركة. وفي جمهوريتنا احترام جدّا وثقة بالدول الإسلامية، ويحاولون استغلال هذه المقدرة في توطيد العلاقات الروسية وتعزيزها مع العالم الإسلامي، وتتارستان تفتخر بما قدّمتها من جهود في تطوير علاقات روسيا مع منظمة المؤتمر الإسلامي، وتساهم تتارستان بجهود فعّالة في عمل مجموعة الرؤية الإستراتيجية «روسيا - العالم الإسلامي»، كما نذكر التعاون مع بعض المؤسسات الإسلامية الدولية المعروفة، مثل البنك الإسلامي للتنمية، وجامعة الدول العربية، وأكاديمية العلوم للعالم الإسلامي، ومركز البحوث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، والمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، وغيرها، وفي شهر يونيو المقبل سيقام بقازان المؤتمر الدولي للاستثمار، الذي يجرى بدعم من منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي، للتنمية ووزارة الخارجية الروسية.

إن تتارستان المعاصرة تعيش في نظام الإنشاء والإبداع، ونضع أمامنا مهمات طموحة، وأنا متأكد من أننا سننجح في ذلك بمشيئة الله، وكما يقول التتار: «بيز بولدير ابيز» نحن نستطيع.

ونحن ندعو أيضا إخواننا المسلمين من الخارج إلى المساهمة في تحقيق المشروعات الاقتصادية الضخمة، التي يتمّ تنفيذها اليوم بتتارستان، وأنا متأكد من أن توحيد المصادرالعقلية والإنتاجية لتتارستان مع الإمكانيات المالية للمستثمرين العرب، يمكن أن تعطي قوة وانطلاقة جيدة لخلق التكنولوجيا والمنتجات الجديدة، وهذا مهم جدّا في قرن منافسة العقول والتكنولوجيا المعاصرة.

يبلغ عدد التتار في جميع أنحاء العالم أكثر من ٧ ملايين نسمة، وبشكل أساسي معظمهم من المسلمين

إننا نعيش في إطار ظروف ليست سهلة، وظروف غليان العصر الحديث، ومع الأسف، فإننا نرى أنّ علاقات متوترة، بين الغرب والعالم الإسلامي تتأصل - وبصورة مصطنعة - وتتوسع عملية التخويف من الإسلام بصورة غير طبيعية، وبهذا الصدد فإنني أتذكر دائماً كلمات الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الذي زار جمهوريتنا ولمرات كثيرة: «إن أي خلاف يحدث في إطار العلاقات بين الإسلام والغرب، فإن هذا الخلاف لا يعد خلافاً بين الديانات والثقافات، بل خلاف بين الدوافع السياسية، والمصالح الاقتصادية، والأخيرتان يمكن أن تتغيرا في الوقت الذي تعد فيه الديانة والثقافة خالدتين.

لقد وهبنا الخالق تعالى المعرفة والحكمة، وقال تعالى في كتابة الحكيم: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨)، وبالرجوع إلى الخبرات العالمية في التعاون المشترك بين الديانات والثقافات المختلفة، فإن الأمة الإسلامية التتارية تستطيع أن تقابل الاتجاهات المدمّرة في العالم بأعمال الإنشاء والتعاون.

وتتارستان على استعداد بأن تقدم مساهمة بقدر طاقتها في هذه العلمية، وبالاشتراك مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ورعاية منظمة المؤتمر الإسلامي، يكون من المجدي أن ينظم في قازان في العام المقبل مؤتمر إسلامي دولي متخصص في دور الإسلام الحضاري في العالم المعاصر، والحوار بين الحضارات الشرقية والغربية.

وفي النهاية اسمحوا لي مرة أخرى أن أشكر منظمي لقائنا اليوم لإعطائنا الفرصة للتعريف بجمهورية تتارستان، متمنياً لخادم الحرمين الشريفين، ولكل أبناء المملكة العربية السعودية المزيد من التقدم والازدهار.

هذه محاضرة ألقيت في مركز فيصل للبحوث والدراسات في الرياض بتاريخ ١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ الموافق ٨مارس/آذار ٢٠٠٨م



سُقني إليك

(وطني حبل غسيلٍ لمناديلِ الدم المسفوك كل دقيقة)

محمد الخير حامد

الخرطوم - السودان

سُقني إليك.. وضُمني

وصْلاً وتَحْناناً يُخَفف من جراحات النوى

واملأ حقائب قلبيَ المسكون.. بالنجوى.. هوى

وطناً غرسْتُك في دمي

فنميتَ وجْداً.. وسنا

عِشْقاً نَسجْتُك للأنام

وذقتُ طَعْمكَ روعةً ورديةً

تحكي أصالةَ عشقنا

متجاوزاً صمتي ومدّ بصيرتي

بيني وبين سعادتي تبقى مآسٍ محزنة..

خبئني يا عمري وانقشني عليك

أوعِز إليّ بساحرٍ، يُغري لياليَّ الكئيبةَ.. بالهَنا

واغمر فؤادي غبطةً، بل هَبْني منكَ نضارةً

تنسابُ من روحي وتَصْدَحُ بالمُنى



سُقني إليك.. وضُمني

واهنأ بأصداءِ المساءْ

دعني أزيّنُ مرةً وجهَ العروبةِ بالأسى

دَعني أغبّر أرجلي من أجل حسنك.. يا بلدْ

كيما تراهُ تألمي

ما قلت شيئاً يستبيح شهامتي!!

جسدي أنا.. يا سادتي.. مُسْجَىً ويطفحُ بالدم

جرحي أغطيه فيظهرُ من هنا

وجعي أخبيه فتصرخ أعظمي

حولي أراكم.. هكذا

تتماوجون.. وتصرخ الأفياء بالشكوى

بكل توجع.. وتظلم ....

«ليس التطرفُ في الحياة شريعةً

كي تُعلنُوها للورى

مقرونةً بهويةٍ أو مُسلم»..



عش للمعالي

للهوى.. نجماً على أفقِ المدى

لك دهشتي.. وشقاوتي

علّي أمدّد قامتي بين العدا

لك من بشاشَتك استقامةُ أمةٍ

لك كل بوحٍ خالدٍ

لك كل ما في الكونِ من أملٍ مَشَى وتمدّدا

لك كل عصفور غدا متحرراً وبات مغردا



نحن الذين ترجلوا عن مجدهم

فقدوا جلالتهم.. تفرق شملُهم

أوطانُهم ضاعتْ سدًى

صرنا نقوشاً في الزمان.. وقصةً

نمضي كما جئنا..

وما لحفيف دعوانا صدى

ماتت بصيرتُنا..

الفؤاد عفى عليه الدهر

جفَّ معينُ غضبته.. وبات مقيدا

يارب.. هل ستطول غفوتُهُ!؟

أم الأيام قد تترى

فيضحي مثلما قد كان بالأمس

عظيماً.. مارداً.. متمرداً؟؟!!



قضايا

العرب وأحقاد الشعوبيين

الفيصل

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

الرياض - السعودية

قال أبو عبدالرحمن: يعبث بتاريخ أمتنا العربية ويمزجه بالريح ثلاث فئات من البشر:

الفئة الأولى: أصناف من دعايات القومية العربية المعاصرة دعا إليها أوشابٌ من الطائفية والعرقية والشعوبية ممَّنْ حَام ويافث ألْيَق بهم من سام !!.. والعروبة عندهم كل جاهلية جهلاء، ولا ترى أن العرب أمة اعتُبرت بالإسلام، بل ترى النبوة والخلافة والملك الواسع الشاسع أسلوباً عربياً لوجود الذات العربية المعتبرة، وليس تربية بالوحي الرباني المعصوم.

صقل المعدن الجِبِلِّيّ

وقد قلت كثيراً: إن الأمة العربية ذات فضل في ذاتها بخصائص جِبِلِّية ميزها الله بها، فالكرم خلق فاضل جبل عليه العربي ولا يدانيه في ذلك أمة أخرى، ولكن سلوك العربي نحو الكرم سلوك جاهلي؛ فهو يقتل وينهب ليكْرُم، وإذا وَجَدَ أسرف، ثم فخر !؛ فجاء الشرع المطهر يصقل معدنه الجِبِلِّيّ؛ ويمنحه السلوك الصحيح، فلا يكرم إلا بحلال، ويواسي في غير سرف ولا مخيلة، ويحتسب ولا يفخر إلا أن يتحدث بنعمة الله عليه في أن هداه ربه إلى هذا الكرم وقت الحاجة إلى التحدث.. والعربي شجاع بطبعه، والشجاعة من أمهات الفضائل، وقد أهدرت الفروسية في الجزيرة وصرفت في غير مجالها؛ وذلك في الجاهلِيَّتين: جاهلية ما قبل الإسلام، وجاهلية في الإسلام عندما لا توجد حكومة أو يضعف وازعها؛ فتكون الشجاعة صوراً من الفداء والتضحية لا يكاد يُصدِّقها العقل، ولكن في الغضب السريع، ولأتفه الأسباب، وفي التناحر بين القبائل وبين أبناء العم!!؛ فاستبقى الإسلام هذا الطبعَ الجِبِلِّيَّ ومنحه السلوك الصحيح في غير تهلكة غير نافعة للأمة، وفي غير حمية جاهلية، وفي غير فتنة تأكل أبناء العم والوطن والملة.. بل تكون من أجل دين رباني، وملة واحدة، وأمة أذابت فروقَها الأخوة الإسلامية.. وقس على هذا كل خصائص الخُلق الرفيع الجبلي التي جعلها الله للعرب خاصَّة في الجملة.. هي نزوع جِبِلّيّ كيفما اتفق، ففضَّل الله العرب بهذا الخُلُق تكويناً، ثم فضلهم تشريعاً بالرسالة إلى الكافة إلى يوم القيامة.. رسالة نَسخت ولا تُنسخ، فكانت الرسالة لتهذيب الطبع الجبلي، ورسم غايته؛ فكان العربي مفضَّلاً بطبعه وشرعه معاً.. إلا أن طبعه لا يغنيه عن شرعه؛ لأن



سلوكه أعمى، وشرعه يغنيه عن طبعه؛ لأنه يدعوه إلى التطبع على الفضائل؛ ولهذا فالعربي غير المسلم مفضول بالمسلم غير العربي، والعربي المسلم الفاسق مفضول بالمؤمن السوي غير العربي.. ويزاحم العربي المؤمن السوي المؤمن السوي غير العربي إذا كان عنده طبع العربي جبلةً أو تطبعاً، ثم سبقه برجحان الميزان في القُربات.

قال أبو عبدالرحمن: وإذن فالقومية بفلسفة كيد الكافرين قد تَعْرِض التراثَ العربي للهجر والاشمئزاز من قبل المسلم غير العربي.

القُعْدُد

والفئة الثانية: أبناء العروبة صليبةً وقُعْدُداً[1] من المسلمين الذين ضعف عندهم وازع الدين فلم يستبقوا من أمجاد التاريخ العربي إلا التفاخر بالأنساب، والفخر بجاهلية العرب لذات العروبة، وتصنيف الخَلْق تصنيف تنقُّص وتزيُّد، وكلٌّ يرى أن قبيلته خير العرب.. بل شعب الله المختار.

قال أبو عبدالرحمن: ههنا استطرادٌ لُغَويٌّ لا بأس به عن استعمالي كلمة قُعْدُد: أهي مدح خالص، أم ذم خالص، أو هي كذا حيناً وكذا حيناً ؟!.. قال أبو علي القالي (٢٨٨ - ٣٥٦هـ) رحمه الله تعالى: «القُعْدُد والقُعْدَد (بضم الدال الأولى المهملة، وفتحها) لغتان: اللئيم الأصل، والإقعاد قلة الأجداد.. والإطْرافُ كَثْرة الأجداد.. كلاهما مدح»[2].. يعني الإقعاد والإطراف، وهذا تفسير منه لقول موسى شَهَوات يهجو عمر بن موسى بن عبيدالله ابن معمر، ويمدح عمر بن موسى بن طلحة بن عبيدالله:

«تُباري ابن موسى يابن موسى ولم تكن
يداك جميعاً تعدلانِ له يدا
تُباري امرأً يُسرى يديه مُفيدةٌ
ويُمناهما تَبْني بناءً مُشيَّدا
فإنك لم تُشبه يداك ابن معمرٍ
ولكنَّما أشبهتَ عمَّك مَعْبَدا
وفيك وإن قيل ابن موسى بن معمرٍ
عُروقٌ يدعن المرء ذا المجد قُعْدُدا
ثلاثةُ أعراقٍ فعِرْقٌ مُهَذبٌ
وعِرْقانِ شانا ما أصابا فأفسدا»[3]



القُعْدُد والقُعْدَد (بضم الدال الأولى المهملة، وفتحها) لغتان: اللئيم الأصل، والإقعاد قلة الأجداد.. والإطراف كثرة الأجداد.. كلاهما مدح

فعلَّق أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري (٤٣٢-٤٨٧هـ) رحمه الله تعالى بقوله: «قول أبي علي: رحمه الله: (وكلاهما مدح) نقله من كلام ابن الأعرابي، وقد رُدَّ عليه، وأنكرَ من قوله.. قال العلماء: رجلٌ قُعْدُدٌ إذا كان قليل الآباء إلى الجد الأكبر، وهو عند العرب مذموم.. ورجل طريفٌ إذا كان كثير الآباء إلى الجدِّ الأكبر، وهو عند العرب محمود.. قال شاعرهم:

أمِـرُّونَ ولاَّدون كـلَّ مـبـارك
طَـرِفـونَ لا يَـرِثُـونَ سَـهْـمَ الـقُـعْـدُدِ

أي ليس فيهم قُعْدُدٌ فيرثُ سهم القُعدد.. وقال الفرزدق في هجاء جرير:

ألَـيْـسَ كُـلَـيْـبٌ ألأم الـنـاس كلّهم
وأنـت إذا عُـدَّت كُلَيب لَـئـيـمُـهـا[٤]
لـه مُـقْـعَـد الأحـسـاب مُـنـقـطـعٌ به
إذا الـقـومُ رامـوا خُـطَّـةً لا يـرومُـهَـا

ويقال: (ورث فلانٌ بني فلان بالقُعْدُد) إذا كان أقربَهُم نسباً إلى الجد الأكبر كما كان عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم؛ فإنه كان أقعدَ بني هاشم نسباً في زمانه.. اجتمع في عصر واحد هو والفضل بن جعفر بن العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم.. وعبدالصمد أخو جدِّ جدِّ جدِّ الفضل؛ وهذا ما لم يقع في الدهر مثله.. ومن ذلك أن عبدالصمد رحمه الله حجَّ بالناس سنة مئة وخمسين.. وحجَّ يزيد بن معاوية بالناس سنة خمسين وقُعدُدهما في النسب إلى عبد مناف واحدٌ.. بين كلِّ واحد منهما وبينه خمس (ذكَّرَ من أجل أن آباء جمع، والتأنيث أفصح) آباء؛ وبين وقتي حجِّهما بالناس مئة سنة.. والقُعدُد في غير هذا الخامل في قومه، وهو القُعدُود أيضاً.. وقال ابن الأعرابي: هو اللئيم الأصل»[٥].

وقال السيد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥) رحمه الله تعالى: «ويقال: فلانٌ قَعِيدُ النَّسَبِ ذو قُعْدَد ورجل قُعْدُدٌ بضم الأوّل والثالث، وقُعْدَدٌ بضم الأول وفتح الثالث.. أثبته الأخفش ولم يُثْبته سيبويه، وأقْعَدُ، وقُعْدُودٌ، بالضم، وهذه طائيَّةٌ: قريبُ الآباء من الجدِّ الأكْبر، وهو أمْلَكُ القَرَابة في النَّسب.. قال سيبويه: قُعْدُدٌ مُلحَق بجُعْشُم؛ ولذلك ظهر فيه المِثْلان؛ وفلان أقْعَدُ من فلان.. أي أقربُ منه إلى جَدِّه الأكبر، وقال اللِّحيانيُّ: (رجلٌ ذو قُعْدَد إذا كان قريباً من القبيلة والعَدَدُ فيه قِلَّةٌ.. يقال: هو أقْعَدُهم.. أي أقربهم إلى الجَدِّ الأكبر.. وأطرفهم وأفسَلُهم.. أي أبعدهم من الجَدِّ الأكبر.. ويقال (فلانٌ طَرِيفٌ بَيِّنُ الطَّرَافَة) إذا كان كثير الآباء إلى الجَدِّ الأكبر ليس بذي قُعْدُد، وقال ابن الأعرابي: (فلانٌ أقْعَدُ من فُلان.. أي أقل آباءً، والإقعادُ قِلَّةُ الآباء والأجداد والقُعْدُدُ البعيد الآباء منه.. أي من الجَدِّ الأكبر وهو مذمومٌ، والإطراف كثرتهم وهو محمود، وقيل: كلاهما مدحٌ).. قال الجوهريّ: وكان عبد الصمد ابن علي بن عبدالله الهاشميُّ أقْعَدَ بني العباس نسباً في زمانه، وليس هذا ذَمّاً عندهم، وكان يقال له: قُعْدَد بني هاشم).. ضدٌّ[٦].. قال الجوهريُّ: (ويُمْدَح به من وجه؛ لأنَّ الولاء للكُبْر، ويُذَمُّ به من وجه؛ لأنه من أولاد الهَرْمَى، ويُنْسب إلى الضَّعْف.. قال الأعشى:

طَـرِفُـونَ ولاَّ دُونَ كُـلَّ مُـبـارك
أمِـرُّونَ لا يَـرِثُـونَ سهم الـقُـعْـدُد)

أنشده المرزباني في معجم الشعراء لأبي وَجْزَة السَّعْديّ في آل الزُّبَير.. ورجلٌ مُقْعَدُ النَّسبِ قصيره من القُعْدُد، وبه فَسَّر ابن السِّكيت قول البَعيث:

لَقىً مُـقْـعَـدُ الأنـسـاب مَـنْـقَـطَـعٌ به
....

وقوله: (مُنْقَطَعٌ به) مُلقىً.. أي لا سَعْيَ له إن أراد أن يَسْعَى لم يكن به على ذلك قوَّةٌ بُلغة.. أي شيئ يتبلَّغ به.. ويقال: (فلانٌ مُقْعَدُ الحَسَب.. إذا لم يكن له شَرَفٌ، وقد أقْعَدَه آباؤه وتقَعَّدُوه)، وقال الطِّرمَّاح يهجو رجلاً:

ولـكـنَّـه عَـبْـدٌ تَـقَـعَّـدَ رَأيَـهُ
لِـئَـامُ الـفُـحُـولِ وارْتِـخَـاصُ المناكح

أي أقْعَدَ حَسَبَه عن المكارم لُؤْمُ آبائه وأمَّهَاته.. يقال: (وَرِثَ فلانٌ بالإقْعَاد)، ولا يُقَال: (وَرِثَ بالقُعود).. والقُعْدُدُ الجَبَانُ اللَّئيمُ في حَسَبِه، القَاعِدُ عن الحَرْبِ والمَكارم وهو مذمومٌ، والقُعْدُدُ



ذم العرب القاعد عن المكارم

الخَامِلُ.. قال الأزهـريُّ: (رَجلٌ قُعْدُدٌ وقُعْدَدٌ إذا كان لئيماً من الحَسَب (و) المُقْعَد والقُعْدُد الذي يَقْعُد به أنْسَابُه.. وأنشد :

قَـرَنْـبَـى تَـسُـوفُ قَـفَـا مُـقْـرِف
لَـئِـيـم مَــآثِـــرُهُ قُــعْــدُد)

ويقال: (اقْتَعَدَ فُلاناً عن السَّخاءِ لُؤْمُ جِنْثِه)، ومنه قولُ الشاعر:

فَـازَ قِـدْحُ الكَلْبِيِّ واقْـتَـعَـدَتْ مَـعْـزاء
(م م م) عن سعيه عُـرُوقٌ لَئِيـم»[٧]

قال أبو عبدالرحمن: القُعْدُد بمعنى الأقرب إلى الجد الأكبر صفة مدح بإطلاق؛ لأنه أقعد وأوضح وأثبت في النسب، وما قاله جمهور اللغويين غير هذا وهْمٌ وخلط كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

والقالي رحمه الله تعالى لم ينقل عن ابن الأعرابي تنصيصاً، ولكنَّ ما نقله هو رأي ابن الأعرابي رحمه الله تعالى.. وذمُّ القُعْدُد في شعر موسى شهوات وغيره ليس ذمّاً للقُعْدُد بمعنى القريب إلى الجد الأكبر؛ لأنه أقعد في النسب، والإقعاد من الفعل اللازم ممدوح.. وإنما هو ذم للقاعد عن المكارم؛ فالقُعْدُد بمعنى الذم تعني صيغةَ المبالغةَ في القعود عن الخير، وبمعنى المدح تعني صيغةَ المبَالَغَةَ في الإقعاد إلى الجد.. وأما افتخار الشاعر بأنه لا يرث القُعدد فليس ذمّاً للقُعْدُدِ الذي هو أقعد في النسب، وإنما هو مدح لأنفسهم بالنمو بالآباء - وذلك هو معنى الإطراف -: فلا يتشوَّفون إلى مال قُعْدُد بمعنى جدٌّ بعيد لا وَلَدَ له.. وليس هذا ذمّاً للقُعْدُد لكونه قُعْدُداً قريبَ الآباء، وإنما هو تفضيل للآباء المنجبين على الآباء غير المنجبين، وليس كل قُعْدُدٍ يكون غير منجب، كما أن عدم الإنجاب قدر كوني من الله لا كسبَ لابن آدم فيه، وإنما الذم والمدح فيما يصدر عن الإنسان وفق حريته واختياره.

وما ينقله اللغويون عن العرب إذا ثبت ليس محلَّ مُشاحَّة، وإنما يحصل الوهم والخلط في اللغة من سوءِ فَهْم بعض اللغويين لمعنى المنقول عن العرب من شعر أو نثر.. ولم يعب أحد محمد ابن عبدالملك الأموي حسباً ونسباً؛ لكونه القُعْدُد في إرثه ابن عمه محمد بن عبيد الله الأموي بأنه قُعْدُد.. قال الإمام أبو محمد ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) رحمه الله تعالى: «ومات بقرطبة سنة ٤٢٢ محمد بن عبيد الله بن عبدالله بن مروان بن عبدالله ابن مَسْلَمة بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ابن الحكم الكاتب، وهو آخر من بقي من ولد مَسْلَمة بن عبدالرحمن بن معاوية المعروف بكُلَيب، وإليه تُنْسب أرْحي كُلَيب التي على النهر بقبلي قُرطبة؛ فورَّثتُ أنا ماله محمد بن عبدالملك ابن عبدالرحمن بن عبدالملك بن عبدالرحمن بن سعيد الخير بن

عبدالرحمن بن معاوية بالقُعْدُد، ودفعتُه إليه، وقضيتُ له به.. وما كان عند محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن هذا علم بأنه مستحق هذا المال، ولا كان له طمع في أخذه؛ فلولا علمي بالنسب لضاع هذا المال، وأخذه غير أهله بغير حق.. ومثل هذا كثير»[٨].

وأما ذمُّ الفرزدق لجرير بأنه مُقْعَد الحسب؛ فلا علاقة له بالقُعْدُد الذي هو أقرب إلى الجد الأكبر، وهو عن الحسب، ولاعلاقة له بالنسب وعلى رواية: (مُقْعَد الأنساب) فهو افتراء على رجل من صليبة بني تميم، وهذا كقول العامة: «فلان لا أصل له» !!.. فهل البشر ينبتون من الأرض من غير تسلسل آباء خلقهم الله من التراب؛ فكل البشر أبناء أعراق الثرى؛ فذلك الهجاء هجاء بأمر محال؛ وهو عن دعوى انقطاع النسب، ولا علاقة له بالقُعدد الذي هو أقْعَدُ في نسب أبيه من غيره من الحفَدَة.

والأقرب إلى أجداده أولى بهم وأفخر من الأبناء النازلين في سلسلة النسب.

وأما ذمهم القُعْدُد (بأنه من أولاد الهرمَى وينسب إلى الضعف) فمن أعجب تعليل رأيته؛ فهل كثير من الأشراف إلاَّ أبناء هَرْمَى، والمعمَّر زاد فسحة في العمر، فهل ذلك مثلبة ؟!.. والهرم إنما يمدح بطول العمر وحسن العمل، ويمدح بفعل الخير قبل أن يقعد به ضعفٌ من مرض أو هرم، وكل البشر أبناء نوح عليه السلام، وقد لبث في قومه بنص القرآن الكريم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأعمار البشر في طول وضخامة أبدان حتى استقر مجرى العادة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بصحاح النصوص الشرعية.

وقد ورثنا هذه العادة الجاهلية في قول العامة في أمثالهم على سبيل التحقير (عَوْدٌ بدو طاح في المراح) !!.. وحق الهَرِم عروبة وشرعاً معاً أن يُحمل على الرأس بكل قذاه.

والآباء لا يُقعدون أبناءهم عن النسب، وإنما يكون في أحدهم من هو خامل، أو يكثر الخمول في ذريته؛ فيكونون قاعدين

ما ذمُّ الفرزدق لجرير بأنه مُقْعَد الحسب؛ فلا علاقة له بالقُعْدُد الذي هو أقرب إلى الجد الأكبر، وهو عن الحسب، ولاعلاقة له بالنسب

بالحفدة عن الحسب؛ فلم يرثوا عنهم حسباً يفتخرون به؛ فهذا معنى الإقعاد للفعل المتعدِّي، وليس معنى للقُعْدد من الفعل اللازم، وكل هذا استدلال في غيرمحل النِّزاع.

قال أبو عبدالرحمن: والمحفوظ في هذه القرون الأخيرة إنما هو صدق الانتساب إلى العرب يقيناً أو رجحاناً، وأما تعيين الجد العربي فأغلبه ظني، وأما التسلسل إلى عدنان أو قحطان ثم إلى إبراهيم وهود عليهما السلام، ثم إلى نوح، ثم إلى آدم عليهما السلام فضرب من الخبال، وكل ما حُرِّر من هذا القبيل في هذه العصور فهو مجرد مزاعم.. ويُخاف في غلواء هذا الجنوح من ردة فعل يحصل بها الانقسام والتنكُّر للعروبة وتاريخها في آخر زمان ورد النص بأنه يقلُّ فيه العرب.

فئة المستشرقين

والفئة الثالثة: فئة كافرة في ذاتها وهي فئة المستشرقين، أو فئة من أصلاب غير عربية لكنها كافرة صدرت عنها أحقاد الأجداد الكفرة، وتلك هي فئة الشعوبيين.. وأهواء وأحقاد الشعوبيين والكفار وجدتها تطفح من أقلام منتسبين إلى العروبة والإسلام، أخذوها عن غباءٍ، إيماناً منهم بأنها من البحث العلمي، ونسوا أن المسألة مسألة حسد للعرب لما ميزوا بالرسالة إلى الخلق كافَّة، جنساً ومكاناً وزماناً، وكان كل هذا الفضل بلغة العرب، وكانوا حملة العقيدة وحماتها، وهم أهل الفتوح؛ فهم محارَبون من أجل دينهم وتاريخهم.. يُنشر هذا الغباء في الكتب والدوريات بصفة البحث العلمي، ومن نماذج ذلك قدْح الأستاذ عبدالوهاب حمودة في علم الأنساب، بدعوى أن له مأخذين، أحدهما: غير مُوَصَّل بزعمه، والثاني: غير ثابت بزعمه أيضاً.. قال: «والذي يظهر لي من دراسة البواعث التي دعت العرب إلى المحافظة على أنسابهم أن الأنساب كان لها في ذهنهم صورتان:

الصورة الأولى: وهي التي تكاد تكون العامة والغالبة أن القبائل كانت كناية عن مجاميع أو كتل، وكل كتلة متمايزة عن الكتلة الأخرى في اعتبارات قومية ولغوية واقتصادية؛ ومن ثم كنا نقرأ كثيراً في كتب اللغة والنحو أن هذا هو رأي الحجازيين، وإزاءه هذا رأي التميميين.. وكل كتلة من هاتين الكتلتين تتعقَّب الأخرى وتقف بإزائها، وتخالفها في آرائها، وتباينها في لهجتها.. قريش فهو اسم يطلق على مجموعة من القبائل تنتهي إلى النضر بن كنانة على

الصحيح.. فهو ليس باسم قبيلة بذاتها[٩]؛ ولذا قيل في اشتقاقها: إنها من التقرش وهو التجمع[١٠].. والبراجم هي خمس قبائل، وإخوتهم أكثر منهم، وقيل لهم البراجم؛ لأنهم تجمعوا كالأصابع، فسموا البراجم تشبيهاً لهم ببراجم الأصابع؛ لأن أباهم قال لهم: اجتمعوا، فكونوا كبراجم يدي، وهم عمرو، ومرة، وقيس، وغالب، وكفة بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن عمرو[١١].. والبراجم هي مفاصل الأصابع التي إذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت على ظاهر الكف.. تنوخ هو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين، وتحالفوا على التآزر والتناصر، وأقاموا هناك؛ فسمُّوا تنوخاً، والتنوخ الإقامة.

وأما الفكرة الثانية أو الصورة الثانية للأنساب في أذهانهم فهي نسبة القبيلة إلى أب واحد ترجع إليه وتتسلسل منه، ثم اتصال الأفراد بقبائلهم، ومنها إلى الجد الأعلى.. وهذه الصورة هي موضع الضعف، وموطن الطعن، ومجال الشك، وميدان التلفيق والاختراع»[١٢].

قال أبو عبدالرحمن: أكذب الكذب ما كان مصدره التَّمظْهر العلمي والأغلوطة المنطقية؛ لأنه تضليل محكم.. والكذب في ذلك النص المبهرج من أمور:

أولها: أن انتساب الأمة العربية إلى آباء من العرب معينين أو مجهولين علم يقيني أو رجحاني ما ظل الواقع التاريخي في جزيرة العرب هو المعيار لظواهر تاريخية أهمها: تحفُّظ ابن البادية ومن ينتسب إلى البادية من الحاضرة عن كل وافد إلى الجزيرة لا يُعلم بأنه من نسل العرب.. والمبالغة في هذا التحفظ غمرت عرباً جهلوا أنسابهم أو أخفوها خوفاً من الثارات؛ ولهذا

القبائل كناية عن مجاميع وكتل



فالاختلاف الذي هوّل من شأنه حمودة إنما هو اختلاف تنوُّع لا اختلاف أصل؛ فالقومية عربية واحدة، ولكن هذا عربي عدناني وذلك عربي قحطاني.. واللغة عربية واحدة، ولكن تلك لهجة أسدية عربية، وتلك لهجة هُذلية عربية، والمعنى معروف بحمل مراد المتكلِّم على لهجة قومه، وليس في هذا تناقض في اللغة؛ لأن اللهجات من باب تَعَدُّدِ الواضع، والتعدُّد في الواضع يرفع التناقض عن لغة عربية عبقرية واسعة الدلالة حسب العلاقات والفوارق بين الأشياء التي عرفها العرب.

وأما الاعتبارات الاقتصادية فما دخلها في تفريع الشعوب أو القبائل؟.

وثانيها: أن ما ذكره في الصورة الأولى من اعتبارات لغوية وقومية.. إلخ لا علاقة له بتسمية القبائل باللقب أو الوصف أو الحادثة التاريخية كقريش والبراجم والرباب؛ وإنما هو زيادة تشويش وبلبلة.

وثالثها: أن ما ذكره عن قريش والبراجم.. إلخ لا يعني الجهالة بالأب بإقراره هو، وإنما يعني الانتساب إلى الأب المعروف والآباء المعروفين باللقب والوصف، والعبرة بالمعروف إذا عُرف بغضِّ النظر عن تعدُّد وسائل الوصول إليه بالوصف أو اللقب أو الاسم.

ورابعها: أنه نفى في الصورة الثانية الانتساب إلى أب واحد.. وهذا مجازفة، بل اليقين أو الرجحان انتساب القبيلة إلى رجل واحد.. هذا هو الأصل والقاعدة إلى القرن الخامس الهجري تقريباً، وكان من يدخل بحلف ومناصرة أو جهالة هو الأقل، ويعلم به النسابون، ثم لا يعدو أن يكون عربياً.. وبعد ذلك حدثت قبائل عربية بأسماء غير أسماء القبائل العربية القديمة، وكان الانتساب إلى أب واحد راجح أو متيقَّن هو الأقل.. ولكن لا يوجد في المسمى غير عربي، وذلك بيقين أو رجحان.

وخامسها: أن اتصال الأفراد بالجد الأعلى هو الأكثر، وهو الأصل وهو القاعدة قبل عصور العامية والأمية وكثرة القرون.. ثم بقي اليقين بالأب العربي غير المعيَّن، وبقي الرجحان بالأب العربي المعيَّن، وأصبح تسلسل النسب اليوم ضرباً من المحال إلا في قليل من الأسر.

الشعوبية والتعصب

وهذه الشعوبية عرَّف بها الأستاذ محمد كرد علي بقوله:

الآباء لا يُقعدون أبناءهم عن النسب، وإنما يكون في أحدهم من هو خامل، أو يكثر الخمول في ذريته؛ فيكونون قاعدين بالحفدة عن الحسب؛ فلم يرثوا عنهم حسباً يفتخرون به

«الشعوبية قوم متعصبون على العرب، مفضِّلون عليهم العجمَ.. نشأت دعوتهم بُعَيْد عصر الخلفاء (رضي الله عنهم) بدخول أجيال كثيرة من الفرس والترك والنبط في خدمة الدولة الإسلامية؛ فنشأت العداوات بين العرب أصحاب الدولة وبين العجم الذين انتحلوا الإسلام.. وكما حدثت هذه المفاضلة بين العرب والعجم حدثت المفاضلة بين العدنانية والقحطانية»[١٣].

وقال الآلوسي: «الشعوبية فرقة من الناس ذهبوا إلى تصغير شأن العرب، وأنهم لا يرون لهم فضلاً على غيرهم؛ سُمُّوا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل (يعني العربية)، ومن الناس من يفضل بعض أنواع العجم على العرب، ومنهم أبو عبيدة[١٤]، وكان يرى رأي الخوارج، وقد ألف كتاباً في مثالب العرب.. وابن غَرَسِيَّة[١٥] وله رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب، وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل»[١٦].

وقال أبو عبيد البكري: «كتاب مثالب العرب أصله لزياد بن أبيه[١٧]؛ فإنه لما ادَّعى أبا سفيان أباً علم أن العرب لا تُقرُّ له بذلك مع علمهم بنسبه؛ فعمل كتاب مثالب، وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وإفك وبهتان، ثم ثنَّى على ذلك الهيثم بن عدي[١٨] وكان دعياً؛ فأراد أن يُعَرِّي أهل الشرف تشفّياً منهم، ثم جدَّد ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى وزاد فيه؛ لأن أصله كان يهودياً أسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر؛ فانتمى إلى ولاء تيم، ثم نشأ عَلاَّن الشعوبي الوراق[١٩] وكان زنديقاً ثنوياً لا يُشكُّ فيه؛ فعمل لطاهر ابن الحسين كتاباً خارجاً عن الإسلام بدأ فيه بمثالب بني هاشم، وذكر مناكحهم وأمهاتهم، ثم بطون قريش، ثم سائر العرب.. ونسب إليهم كل كذب وزور، ووضع عليهم كل إفك وبهتان، ووصله عليه طاهر بثلاثين ألفاً.. وأما كتاب المثالب والمناقب الذي بأيدي

الناس اليوم وهو كتاب الواحدة المعلوم؛ فإنما هو للنضر بن شميل الحميري[٢٠] وخالد بن سلمة المخزومي، وكانا أنسب أهل زمانهما.. أمرهما هشام بن عبدالملك أن يبيِّنا مثالب العرب ومناقبها»[٢١].

شخصية وهمية

قال أبو عبدالرحمن: ليس المراد النضر بن شميل الإمام الثبت (١٢٢ - ٢٠٣هـ) رحمه الله؛ لأنه مازني تميمي وليس حميريّاً؛ ولأنه في إمامته أجل من أن يُصنِّف في المثالب؛ ولأنه لم يدرك هشام بن عبدالملك الخليفة الأموي ولا المخزوميَّ.. والمخزومي شخصية حقيقية، والنضر بن شميل الحميري لا وجود له في كتب التراجم، ولا فيمن ألَّف في المثالب، وناقل النص أبو عبيد البكري (- ٤٨٧هـ) رحمه الله تعالى متأخِّر، ومن الراجح عندي أن النضر الحميري شخصية وهمية، وصل الكتاب المنسوب إليه إلى البكري ضمن الأساطير اليمنية المدسوسة، التي صدرت في وقت مبكر؛[٢٢] وقُرِنَ بالمخزومي لأن له شأناً في المثالب، ولأن النضر بن شميل التميمي إمامٌ؛ ليلتبس الحميري الوهمي بالإمام التميمي المعروف كما نُسب التيجان بالإسناد الحقيقي لابن هشام الذهلي صاحب تهذيب السيرة، والمراد ابن هشام الحميري المعاصر له؛ ترويجاً للتيجان كما بينت ذلك في كتابي (التاريخ والمسؤولية الفكرية).. وأما المخزومي فهو أبو سلمة - أو أبو القاسم - خالد بن[٢٣] سلمة بن العاص بن هشام المخزومي القرشي (- ١٣٢هـ) عفا الله عنه.. مُحدِّث مختلف في توثيقه، وعن قصة المثالب هذه قال الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المِزِّي (٦٥٤ - ٧٤٢هـ) رحمه الله تعالى - وهو بعد البكريِّ بقرنين ونيِّف -: «وله قصة مع النضر بن شميل الحِميري عند هشام بن عبدالملك في ذكر مناقب قريش ومثالبها التي لا شبه لها، وذلك مذكور في كتاب الواحدة»[٢٤]؛ فالمزي ينقل خبر النضر عن كتاب الواحدة، والبكري يجعل كتاب الواحدة للنضر الحميري والمخزومي معاً.. وذكر المزي أن المخزومي يُلَقَّب الفأفاء، وأنه رأس في المرجئة، وكان يبغض علياً (رضي الله عنه)[٢٥]؛ ومادام كتابه في مثالب قريش ومناقبها، وهو مخزومي يبغض عليّاً كذلك ناسب هذا الأمر أن ينسب إليه الأسطوريون كتاب المثالب في بني هاشم بينما الذي اطلع عليه البكري في مثالب العرب كافة ومناقبها.. وإن صح أن له كتاباً في المثالب فهو عن بني هاشم من قريش؛ فجُعل ذلك سبباً لنسبة مثالب العرب إليه. وعلى هذا يكون أول من ألف في المثالب.. وعلى أي حال فالمصدر كتاب الواحدة، ولا يُعلم نقلٌ عن هذا الكتاب إلا إشارة البكري إلى أنه هو الكتاب الذي بأيدي الناس في عصره؛ وإنما أراد به كتاب الواحدة، وهو غير الكتاب المنسوب إلى خالد المخزومي، بل كتاب الواحدة هو مصدر نسبته إليه.. وقد اختلف في اسم مؤلف الواحدة - مع احتمال تعدُّد أسماء المؤلفين وإن اتحدت أسماء كتبهم -: فابن النديم يذكر (الواحدة في الأخبار والمثالب والمناقب)، وأنه جزَّأه ثمانية أجزاء (ولعلها كراريس) للشيعي محمد بن الحسين بن جمهور العمي البصري[٢٦].. ويُنْسَب إلى دعبُل بن علي الخزاعي (١٤٨ - ٢٤٦هـ).. قال الدكتور نزار أباظة في تقديمه لكتاب وصايا الملوك لدعبُل: «الواحدة، ولم يرد ذكره إلا بعد القرن الرابع، وهو في المثالب، وربما استفاد فيه من معرفته الواسعة بالأنساب؛ للطعن والهجاء والتمزيق، كما أفاد على ما يُظَنُّ مما كتب الشعوبيون في مثالب العرب.. وَيُرَجَّح أن يكون الكتاب في مناقب قحطان ومثالب عدنان، ولعله ذكر مثلبة للعدنانية في مقابل منقبة للقحطانية؛ ومن هنا يمكن أن تكون تسميته بالواحدة»[٢٧].

قال أبو عبدالرحمن: الكتاب الذي اطلع عليه البكري للعمي أو دعبل الشيعيين، وأكثر المثالب من تأليف الشيعة، وهو مصدر الخبر عن الخليفة هشام بن عبدالملك، والنضر بن شميل الحميري (؟)، وخالد بن سلمة؛ مما يرجح أن الخبر مكذوب، وأن الحميري أسطورة.. ومن الكتب المؤلفة في المثالب ما يلي[٢٨] :

١ - مثالب باهلة لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ولعل في نسق المثالب له كتبٌ أخرى مثل لصوص العرب، وفضل الفرس[٢٩].

القُعْدُد بمعنى الأقرب إلى الجد الأكبر صفة مدح بإطلاق؛ لأنه أقعد وأوضح وأثبت في النسب، وما قاله جمهور اللغويين غير هذا وهْمٌ وخلط



استبقى الإسلام الطبع الجبلي ومنحه السلوك الصحيح

٢ - المثالب لابن الكلبي، ولعل في سياقه بعض كتبه الأخرى مثل مناكح أزواج العرب[٣٠].

٣ - مثالب العرب للهيثم بن عدي، وهو كتابان (المثالب الكبير، والمثالب الصغير)، وفي سياقه بعض كتبه مثل: تاريخ العجم وبني أمية، ومداعي أهل الشام، ومن تزوج من الموالي في العرب، وأسماء بغايا قريش في الجاهلية ومن ولدن، وأخبار الفرس[٣١].

٤ - كتب الجهمي الذي قال عنه ابن النديم: «أبو عبدالله أحمد ابن محمد بن حميد بن سليمان بن عبدالله بن أبي جهم بن حذيفة العدوي.. من بني عدي بن كعب، ويعرف بالجهمي.. ينسب إلى جده أبي الجهم بن حذيفة.. حجازي.. دخل العراق وبها تعلم.. وكان أديباً، راوية، شاعراً مغنّياً، ويذكر النسب والمثالب، وتناول جلة الناس، وله في ذلك كتب.. قال محمد بن داود: حدثني سوار بن أبي شراعة قال: وقع بينه وبين قوم من العمريين والعثمانيين شر؛ فذكر سلفهم بأقبح ذكر؛ فقال له بعض الهاشميين في ذلك؛ فذكر العباس بأمر عظيم؛ فأنهي خبره إلى المتوكل؛ فأمر بضربه مئة سوط؛ فضربه إياها إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم؛ فلما فرغ من ضربه قال فيه:

تَـبرا الـكُـلُـوم وَيَـنـبـت الـشـعَـرُ
وَلِـكُـلِّ مُـوْرِد محْـنَـة صَـدَرُ
وَالـلُّـوم فِي أثـوابِ مُـنْـبَطِـح
لِـعَـبِـيـدِه مـا أوْرَقَ الـشـجَـرُ

وله من الكتب كتاب أنساب قريش وأخبارها، وكتاب المعصومين، وكتاب المثالب، وكتاب الانتصار في الرد على الشعوبية، وكتاب فضائل مضر»[٣٢].

قال أبو عبدالرحمن: لا تناقض في التأليف ضد الشعوبية؛ لأن مثالبه عن شعوبية عربية كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

٥ - مثالب ثقيف وسائر العرب لأبي حصين محمد بن علي الأصبهاني الديمرتي[٣٣].

٦ - فعلتُ فلا تلم في المثالب لأبي الجيش المظفر بن محمد البلخي الخراساني الشيعي (- ٣٦٧هـ).. قال الطهراني: «ينقل عنه في كامل البهائي»[٣٤]، وسماه (قد فعلتُ فلا تلم)[٣٥].

٧ - كتاب المثالب لأبي جعفر أحمد بن الحسين بن سعيد الأهوازي الشيعي الملقب بدندن[٣٦].

٨ - المثالب لأحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن القمي الشيعي (- ٢٥٠هـ)[٣٧].

٩ - المثالب لأبي أحمد الحسن بن محمد من ذرية السجاد (رضي الله عنه) يعرف بابن أبي طاهر شيعي (- ٣٥٨هـ)[٣٨].

١٠- خالدات فلان وفلان، أو الخالدان والخالدات فلان وفلان في المثالب لأبي الفضل عباس بن هشام الناشري الشيعي (- ٢٢٠هـ)[٣٩].

١١- المثالب لأبي العباس عبيد الله بن أحمد بن نهيك النخعي الشيعي (- ٣١٠هـ)[٤٠].

١٢- المثالب لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن فضّال الفطحي الشيعي[٤١].

١٣- المثالب لأبي الحسن علي بن مهزيار الدورقي الأهوازي الشيعي[٤٢].

١٤- المثالب لأبي جعفر محمد بن أورمة القمي الشيعي[٤٣].

١٥- المثالب لأبي جعفر محمد بن بندار بن عاصم الذهلي القمي الشيعي[٤٤].

الهوامش

١- قال أبو عبدالرحمن: بضم القاف، وسكون العين المهملة، وضم الدال المهملة، بمعنى واضح النسب، وهو أقعد فيه من كثير غيره؛ لقربه من الجدّ الأكبر، والعلم بتسلسل آبائه.. وفي عاميتنا اليوم القَعَدي بمعنى البدوي يسكن في الحاضرة، وهي مجاز من العجز، إلا أن الصواب ضم القاف، وسكون العين المهملة، وكسر الدال المهملة.

٢- الأمالي ٢/ ١٩٢.

٣- الأمالي ٢/ ١٩١.

٤- قال أبو عبدالرحمن: مثل هذا البيت القبيح من العرب أنفسهم أصبح مادةً للشعوبية في ذم العرب بغير حق: إما لتعميمهم لؤم فرد على كل القبيلة، وإما لافتراء الشاعر نفسه على ذمّ قبيلة ما.

٥- التنبيه على أوهام أبي علي (القالي) في أماليه.. بآخر كتاب ذيل الأمالي والنوادر ص١١٦، ١١٧.

٦- قال أبو عبدالرحمن: يعني استعمال المعنى في المدح والذم معاً، وليس هذا بصحيح، بل لكل معنى منحى اشتقاق آخر به يختلف المعنيان ولا يَردان على شيئٍ واحد.

٧- تاج العروس ٩/ ٤٩ - ٥١، والميمات بين القوسين المعقوفين علامَةٌ على أن البيت مُدَوَّرٌ، وينبغي وضع عدد من الميمات بقدر عدد الحروف الناقصة من الشطر.

٨- جمهرة أنساب العرب ص ٥ - ٦.

٩- العقد الفريد ٢/٢٠٢ (حمودة).. قال أبو عبدالرحمن: هي إذن قبيلة بذاتها؛ بالانتهاء إلى النضر بن كنانة؛ إذ ليس من ذريته من ليس قُرشياً.

١٠- مجلة كلية الآداب ٦٨/١٤، والإنباه لابن عبدالبر ١/٩٧ وابن هشام (حمودة).

١١- مجلة كلية الآداب ٧٧/١٤، والإنباه لابن عبدالبر ٨٦٤، والسمط ص ٧، ونسب عدنان وقحطان للمبرد، ١٣٤، والاشتقاق لابن دريد (حمودة).

١٢- مجلة كلية الآداب م ١٤ ج١ ص ١٤٦ - ١٤٧.

١٣- العرب لكحالة ص ٤١ عن الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي.

١٤- هو معمر بن المثنى (١١٠ - ٢١٠هـ) عفا الله عنه مُخْتَلَف في مذهبه غير الحميد، وفي القبيلة التي ينتسب إليها ولاء، وفي تاريخ مولده، وهو يهودي الأصل، شعوبي في ذاته.. انظر عنه ميزان الاعتدال ١٥٥/٤ ومقدمة الدكتور فؤاد سزكين لمجاز القرآن لأبي عبيدة.

١٥- طبع كتابه في نوادر المخطوطات.

١٦- بلوغ الأرب ١/ ١٦٠.

١٧- قال أبو عبدالرحمن: قيل عنه: (ابن أبيه)؛ للاختلاف في اسم أبيه: أهو عبيد الثقفي، أو أبو سفيان رضي الله عنه، ثم ألحقه معاوية رضي الله عنه ببني أمية، وجعله أخاه من أبي سفيان ومن سمَيَّة جارية الحارث بن كلَدة، وذكر الزركلي رحمه الله تعالى في الأعلام ٥٣/٣ ثلاثة كتب عنه لابن الكلبي، ولأبي مِخْنَف لوط بن يحيى، والجُلودي (هو عبدالعزيز بن يحيى الشيعي)، وذكر قول الإمام ابن حزم في الفصل: «امتنع زياد وهو فَقْعَة القاع: لا عشيرة له ولا نسب، ولا سابقة، ولا قُدَم؛ فما أطاقه معاوية إلا بالمداراة وحتى أرضاه وولاه».. قال أبو عبدالرحمن: لابن الكلبي عنه كتابان هما: (أخبار زياد بن أبيه)، و(ادّعاءُ زياد معاويةَ) كما في فهرست ابن النديم ص١٠٩، وهناك كتاب رابع هو (أخبار زياد بن أبيه) لأبي الحسن علي بن محمد المدائني البصري القرشي ولاء (١٣٥ - ٢٢٥هـ) رحمه الله تعالى كما في معجم الأدباء ١٨٥٥/٤.

١٨- الطائي (١١٤ - ٢٠٧هـ)، وهو مع شعوبيته كذاب، ومغموز في نسبه؛ ولهذا قال فيه الشاعر:

إذا نسبتَ عدياً في بني ثُعَل

فَقَدّم الدال قبل العين في النسب

أي يكون (عديٌّ) دَعِيّاً، وانظر ترجمته المظلمة في لسان الميزان ٨/ ٣٦١ - ٣٦٣.

١٩- قال عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٥/ ٤٧١ برقم ٥٢٨٩: «عَلاّن

١٦- المثالب لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصَّفار القمي الشيعي (- ٢٩٠هـ)[٤٥].

١٧- المثالب لأبي محمد يونس بن عبدالرحمن الشيعي[٤٦].

١٨- مثالب الأدعياء لأبي عبدالله الحسين بن محمد الحلواني الشيعي[٤٧].

١٩- مثالب القبائل لأبي بشر أحمد بن محمد بن إبراهيم البصري الشيعي[٤٨].

قال أبو عبدالرحمن: هذه الكتب عن شعوبية في النِّحلة، وعن شعوبية عرقية فارسية.

٢٠- مثالب الأنساب لمحمد بن الحسن بن زَبالة (- ٢٠٠هـ) عفا الله عنه من الكذابين المشهورين[٤٩]، وهو من أوائل ما أُلِّف في المثالب.

٢١- مداعي قريش والأنصار لمحمد بن عمر بن واقد أبي عبدالله الواقدي (- ٢٠٧هـ)، مولى عبدالله بن بريدة السهمي الأسلمي، وله كتاب المناكح، وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها؛ فإن لم يكن شعوبياً فهو كذَّاب[٥٠].

الـورَّاق الشُّعُوبي، مصنِّف كتاب المثالب على ترتيب كتاب الأنساب لابن الكَلْبي.. بدأ ببني هاشم فمَنْ بعدهم، ثم أظهر فيه من مساوي العرب ما لم يحوِهِ غيره.. قال المرزُباني: كان شُعُوبيّاً - يعني يفضل العجمَ على العَرَب -.. قال: وكتابه في المثالب كتابُ سوء، وكان يَنْسَخ في دار الحكم في عهد البَرَامكة، ثم المأمون.. وقال ابن أبي الأزهر: كان يورِّق في دكَّان ويبيع».

٢٠- قال أبو عبدالرحمن: ليس هو الإمام بيقين، وقد أخطأ من نسب إليه كتاب المثالب كما سيأتي بيانه إن شاء الله كالدكتور فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي / علم اللغة م٨ ج٢ ص ٩٦، ونقل عن خزانة الأدب لعبدالقادر إحالة ذكر الكتاب إلى إقليد الخزانة للميمني.. ومثله الدكتور بكر أبو زيد في طبقات النسابين ص٦٤ برقم ١٠٩، وذكر وفاته عام ٢٠٤هـ، ووصفه بالنحوي البصري، وهذا ينطبق على النضر الإمام، وسماه مثالب العرب ومناقبها، ومرجعه في ذكر الكتاب بلوغ الأرب للآلوسي.

٢١- سمط اللآلي ٢/ ٨٠٨.

٢٢- من دلالات الواو المقلوبة ذات النقطة من أسفل التعليل؛ فتوضع قبل بداية جملة التعليل وإن تأخَّر حرف التعليل.

٢٣- قال أبو عبدالرحمن: لا أضع ألف ابن أول السطر إذا كان الأب مباشراً؛ لأن تجارب الطبع يختل ترتيب الأسطر فيها من تجربة إلى تجربة؛ فيحدث لبس.

٢٤- تهذيب الكمال ٨ / ٨٥.

٢٥- تهذيب الكمال ٨ / ٨٦.

٢٦- الفهرست ص٢٧٨، وقال آقابزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٥/ ٧: «يوجد نسخة منه عند هبة الله الشهرستاني»، ثم قال ص٨ في ترجمة ابنه الحسن بن محمد العمي: «وكانت نسخة من الواحدة عند ابن طاووس.. نقل عنه في تصانيفه مثل (اليقين)، ونسبه إلى محمد ابن جمهور».. واحتمل ص٧ أن يكون الكتاب للأب برواية الولد، وأن يكون لكل واحد منهما كتاب بهذا الاسم.. وانظر إيضاح المكنون ٤/ ٤٢٦.

٢٧- وصايا الملوك ص١٢، ولقَّبه في الذريعة ٢٥/ ١٧ بالشاعر الشهيد.

٢٨- قال أبو عبدالرحمن: إذا وَعَدْتَ بذكر شيئ، وطال الفاصل بين وعدك وما وعدت به: فقل: ما يأتي، أو الآتي.. وإذا كان ما وعدت به مباشراً فقل: ما يلي.

٢٩- انظر عنهما الفهرست لابن النديم ص٥٩.

٣٠- المصدر السابق ص ١٠٩.

٣١- المصدر السابق ص ١١٢.

٣٢- الفهرس ص١٢٤.

٣٣- الفهرست ص ١٥٢.

٣٤- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦/ ٢٧٧.

٣٥- الذريعة ١٧ / ٥٠ و١٩/ ٧٣.. قال أبو عبدالرحمن: «الذريعة» أخصر من (المصدر السابق)؛ وإذن ينبغي النص على بعض العنوان للكتاب إن كان أخصر أو مساوياً لعبارة (المصدر السابق).

٣٦- الذريعة ١٩ / ٧٣.

٣٧- الذريعة ١٩/ ٧٣.

٣٨- الذريعة ١٩/ ٧٣.

٣٩- الذريعة ٧/ ١٣٥ و١٩/ ٧٣.

٤٠- الذريعة ١٩/ ٧٤.

٤١- الذريعة ١٩/ ٧٤.

٤٢- ما سبق.

٤٣- ما سبق.

٤٤- ما سبق.

٤٥- ما سبق.

٤٦- ما سبق.

٤٧- الذريعة ١٩/ ٧٤.

٤٨- الذريعة ١٩/ ٧٥.

٤٩- انظر ترجمته المظلمة في تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٠ - ٦٧.

٥٠- انظر عنه تهذيب الكمال ٢٦/ ١٨٠ - ١٩٥.

أخبار

مشاركة عربية في معرض لندن للكتاب

حلت المملكة وعدد من الدول العربية ضيوف شرف على معرض لندن للكتاب، الذي انطلق في ٨ ربيع الآخرسنة ١٤٢٩هـ /١٤ أبريل عام ٢٠٠٨م، واستمر مدة ثلاثة أيام، وأقام المعرض المجلس الثقافي البريطاني في قاعة إيرلز كورت للمعارض، وهو أحد أهم المعارض العالمية، التي توفر لقاء سنوياً للناشرين، وتستضيفه لندن في ربيع كل عام.

وافتتح الجناح العربي عمرو موسى - الأمين العام لجامعة الدول العربية - ومثلت المملكة في هذا المعرض وزارة التعليم العالي، ووزارة الثقافة والإعلام، وعدد من الجامعات السعودية، إضافة إلى عدد من دور النشر السعودية، وعرضت الجهات المشاركة مجموعة كبيرة من الإصدارات الحديثة.

وقد سجل العرب انتصاراً كبيراً، في ختام فعاليات المعرض، وذلك بخطفهم جائزتي أفضل ناشر ناشئ، وأفضل كتاب، فقد فاز الناشر اليمني نشوان المقالي بجائزة أفضل ناشر ناشئ، كما فازت دار (كادي ورمادي) بأعلى ترشيح كأفضل كتاب عن قصة (خذها ياعيد) للقاصة السعودية أروى داود خميس في النتيجة النهائية للتصويت، الذي أجري على مرحلتين، وقد شهد التصويت على أفضل كتاب منافسة حادة، إذ شاركت في التصويت ثمانية كتب، بينها ثلاثة كتب موجهة إلى الأطفال.

وعبر صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نواف بن عبدالعزيز - سفير خادم الحرمين الشريفين في المملكة المتحدة وأيرلندا - عن سعادته بمشاركة المملكة في المعرض، مشيرًا إلى أن المشاركة تكتسب أهمية خاصة لسببين جوهريين، أولهما: اختيار المعرض للعالم العربي موضوعًا لبرنامج (التركيز في أسواق الكتاب) لدورة هذا العام، وثانيهما: هو الانسجام الظاهر بين أهداف هذا المعرض للعالم العربي وروحه، وما تشهده المملكة من نمو باهر، وتطور متميز في المجالات الثقافية والتعليمية.

كما هنأ سموه القاصة أروى الخميس، ومالكة دار (كادي ورمادي) القاصة ثريا بترجي، بمناسبة الفوز بترشيح أفضل كتاب من بين الكتب المشاركة، وعقد على هامش المعرض عدد من الندوات الفكرية والثقافية والعلمية، التي شارك فيها عدد من المثقفين السعوديين.

وقد رعت الحفل الختامي، الذي أقيم بهذه المناسبة، السيدة شيري بلير، زوجة رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير.



ملتقى ثقافي للجامعة العربية عن «ربع جرام»

عقدت الجامعة العربية مؤخرًا ملتقى ثقافياً بمناسبة إطلاق عمل روائي يتناول عالم الإدمان والمخدرات والمآسي، التي تجلبها على الشباب العربي. وهذا العمل بعنوان «ربع جرام»، وهو للكاتب عصام يوسف، الذي أوضح أن روايته تحمل رسالة إلى الشباب والمجتمع العربي، عبر طرح الجوانب والأبعاد الإنسانية في مأساة الشباب، الذين يقعون ضحايا الإدمان والإرهاب.

وأوضح بيان للجامعة العربية أن رعايتها إطلاق هذا الكتاب تأتي في سياق اهتمامها بإبراز دور المبدعين العرب في مساندة خطط العمل العربي المشترك في مجالات التنمية الاجتماعية.

تدشـين موقـع الأديب عبدالكريـم الجـهيمان



تم مساء الاثنين ٢٣ربيع الأول الماضي/ ٣١مارس/آذار عام ٢٠٠٨م، تدشين موقع الأديب عبدالكريم الجهيمان، بحضور وكيل وزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية الدكتور عبدالعزيز بن محمد السبيل، إلى جانب نخبة من المثقفين والأكاديميين والمهتمين بالحركة الثقافية، وذلك في (إثنينيته) في مدينة الرياض.

ويهدف هذا الموقع إلى تسهيل التعرف إلى إسهامات الجهيمان الثقافية، والأدبية، ومساعدة الدارسين والباحثين على الوصول إليها.

ويضم الموقع أقسامًا تتناول سيرة الأديب عبدالكريم الجهيمان، وحياته الأدبية والعلمية، وإنجازاته الصحفية المبكرة، بوصفه رائدًا من رواد الصحافة السعودية، بإنشائه صحيفة أخبار الظهران، كما يحتوي الموقع على رصد وتوثيق لمؤلفاته المطبوعة ومقالاته، واللقاءات الصحفية والإذاعية والتلفازية التي أجريت معه، والكتب والدراسات التي كتبت عنه، ومكتبة للصور، وساحات للحوار الفكري والثقافي، وقائمة بريدية تتيح للزوار التواصل مع فعاليات الموقع وأنشطته الجديدة.

وقام بتصميم الموقع وتنفيذه عبدالكريم العودة، والمهندس سهيل عبدالكريم الجهيمان.

متحف لصاحبة الجلالة في واشنطن

افتتح في ١١ أبريل الجاري في واشنطن متحف جديد خاص بالصحافة، وهو يستعرض تاريخ وسائل الإعلام منذ اختراع الطباعة حتى زمن الوسائل الرقمية، وقد بلغت كلفة إنشائه ٤٥٠ مليون دولار.

ويضم المتحف آلاف الافتتاحيات التاريخية، والصور الشهيرة، ومئات الساعات من الأفلام والألعاب التفاعلية، ويتوزع ذلك على ١٤ قاعة عرض، و١٥ مدرجًا واستديو تلفازي.

وفكرة المتحف من ابتكار م آل نيوهارث مؤسس صحيفة «يو اس ايه توداي»، وقد أنشأته مؤسسة «فريدوم فاونديشن»(مؤسسة الحرية)، وهي منظمة غير ربحية، تهدف إلى الدفاع عن «حرية التعبير والصحافة الحرة».

وقد كتبت على واجهة المتحف الرخامية التعديل الأول للدستور الأمريكي بكلماته الـ٤٥ بأحرف بارزة تذكيرًا بعدم جواز إصدار قانون «يقيد حرية الكلام».



نسخة فرنسية لصحيفة جزائرية

أصدرت «جزائر نيوز» الصحيفة اليومية الجزائرية التي تصدر بالعربية مؤخرًا أول إعداد نسخة فرنسية لتصبح بذلك أول صحيفة جزائرية تصدر باللغتين.

وتضمن العدد الأول من الصحيفة ملفًا عن الأديب الجزائري الذي يكتب بالفرنسية بوعلام صنصال الذي رفض مقاطعة معرض الكتاب في باريس الذي احتفى بإسرائيل.

وسوغ ذلك مدير تحرير الصحيفة حميدة العياشي الذي قال: إن القضية المطروحة هي التي فرضت نفسها؛ لأن الملف يعالج رواية صنصال «قرية الألماني» التي تحكي قصة نازيين لجأ الى الجزائر بعد نهاية الحرب.



وفاة الأديب عبدالله الحصين

توفي الأديب عبدالله بن سليمان الحصين عن عمر ناهز ٧٥ عامًا، ووري جثمانه الثرى بمقبرة بقيع الغرقد في المدينة المنورة، عقب الصلاة عليه بالمسجد النبوي الشريف فجر الاثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٢٩هـ / ٣١ مارس آذار عام ٢٠٠٨م.

الفقيد من مواليد محافظة شقراء في سنة ١٣٥٣هـ، وتلقى تعليمه الأولي بالمدرسة الابتدائية في المدينة المنورة في سنة ١٣٦٦هـ، ونال الشهادة الثانوية في دار التوحيد بالطائف سنة ١٣٧٢هـ، وتخرج سنة ١٣٧٦هـ في كلية الشريعة في مكة المكرمة، وفي سنة ١٣٧٨هـ حصل على دبلوم المعهد العالي بالقاهرة، مع حضوره الدروس عند بعض العلماء والمشايخ، وذلك من سنة ١٣٦٦هـ إلى سنة ١٣٧٦هـ .

عمل في المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر من سنة ١٣٧٧هـ إلى سنة ١٣٨٠هـ، وفي سنة ١٣٨١هـ عمل مساعداً لمدير التعليم بجدة، ومن سنة ١٣٨٢هـ حتى سنة ١٣٩٤هـ عمل مديراً للتعليم بالطائف، ومن سنة ١٣٩٥هـ حتى سنة ١٣٩٧هـ عمل مديراً للتعليم بجدة، ثم مديراً عاماً للبعثات والعلاقات الجامعية بوزارة التعليم العالي من سنة ١٣٩٧هـ إلى سنة ١٤٠٥هـ، وانتقل إلى جدة مستشاراً لجامعة الملك عبدالعزيز من سنة ١٤٠٥هـ إلى سنة ١٤٠٧هـ، وفي منتصف سنة ١٤٠٩هـ طلب الإحالة إلى التقاعد.

وقد عمل رئيساً لتحرير صحيفة المدينة من سنة ١٤٠٧هـ إلى سنة ١٤١٢هـ، ثم تقرر ضمه بعد ذلك إلى عضوية مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ومجلس إدارة المؤسسة، وفي رمضان سنة ١٤١٦هـ عين عضواً بمجلس منطقة مكة المكرمة.

ويعدّ الحصين أول من افتتح مكتباً للصحافة في الرياض سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٦م، وذلك عندما كان مقر المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بجدة، وأشرف على مجلة الإذاعة، التي أصدرتها المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بجدة، وكان من محاضري النادي الأدبي بجدة، وعضوًا في مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر. وشارك في عدد من المؤتمرات الإعلامية والتربوية داخل المملكة وخارجها.

وله كتابات ومساهمات صحفية في صحف المملكة، وفي صحيفة

الوطن الكويتية. ومن أعماله: (أفكار بلا زمن)، و(قراءة في ملف الأزمات العربية)، و(ملامح من عصر ابن أبي ربيعة)، و(القيادة التربوية: دراسة تربوية لظواهر التخلف والتعوق في الدراسة)، و(على الدرب: مجموعة آراء وقضايا اجتماعية)، وتحت الطبع: (شاعرة الرثاء: دراسة عن الخنساء)، و(دروب وندوب)، و(جريمة كل العصور).

تعاون ثقافي وعلمي بين العالمين التركي والعربي

أعلن في أنقرة تأسيس جمعية جديدة ذات صفة دولية؛ لتنمية التعاون بين تركيا وبلدان العالم العربي، في مجالات العلوم والثقافة والفنون والمجتمع المدني. وتهدف الجمعية، التي أسستها نخبة من الأكاديميين والإعلاميين والمثقفين الأتراك والعرب، إلى بناء جسور متينة للتواصل الحضاري بين الشعبين التركي والعربي في مجالات العلوم، والثقافة، والفنون، والإعلام، والمجتمع المدني، وتسعى إلى تطوير الرؤى الإستراتيجية لهذا التعاون بما يحقق المصالح المشتركة لبلدان، العالمين التركي والعربي وشعوبهما.

وتعمل هذه الجمعية، وهي منظمة أهلية غير ربحية، وذات صفة دولية، على المساهمة في تفعيل اتفاقيات التعاون العلمي والثقافي والإعلامي والفني، والمجتمع المدني، المبرمة بين بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي، والتشجيع على توقيع المزيد من اتفاقيات التعاون في هذه المجالات، بما يحقق المزيد من التقارب بين الشعبين التركي والعربي.

وستساهم الجمعية أيضاً في تفعيل الحضور العلمي والثقافي والإعلامي، والفنّي، لبلدان العالم التركي في بلدان العالم العربي، والمساهمة في تفعيل الحضور العلمي والثقافي والإعلامي والفنّي لبلدان العالم العربي في بلدان العالم التركي، إضافة إلى العمل على تحقيق المزيد من التواصل والتعاون بين مختلف هيئات المجتمع المدني، في العالمين التركي والعربي.

وقد تم تأسيس (المعهد التركي العربي للدراسات والتوثيق) بوصفه مؤسسة علمية وبحثية في صلب الجمعية، تعمل على التوثيق العلمي للعلاقات بين بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي، وتشجيع البحث العلمي والترجمة، وإصدار الكتب والنشرات المطبوعة والإلكترونية، وتأسيس المؤسسات التعليمية والأكاديمية، وتنظيم المؤتمرات والندوات العلمية، والدورات التدريبية، وغيرها.

وستعمل الجمعية على إقامة ملتقى دوري تحت اسم (المنتدى التركي العربي للحوار الثقافي)، يجمع النخب الأكاديمية والإعلامية، والمنظمات الأهلية، والهيئات العلمية، والثقافية، والفنية، من بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي، للحوار حول قضايا وملّفات محدّدة، بهدف تحقيق المزيد من التواصل والتعاون، وسيقدّم المنتدى التركي العربي للحوار الثقافي باسم (الجمعية التركية العربية للعلوم والثقافة والفنون) (الجائزة التركية العربية للتميّز)، وهي جائزة تقديرية رمزية ستقدّم دورياً لشخص، أو لهيئة تميّزت بإنجاز معّين، في أي مجال من المجالات التي تساهم في تطوير العلاقات بين بلدان العالم التركي، وبلدان العالم العربي.

وتعد هذه الجمعية الأولى من نوعها في الساحة التركية، التي تعنى بتطوير علاقات التعاون في مختلف المجالات بين بلدان العالم التركي، وبلدان العالم العربي، كما أنها ترحّب بأي مقترحات أو مشروعات تساهم في تطوير التعاون بين الشعبين، التركي والعربي.

للتواصل مع إدارة الجمعية التركية العربية للعلوم والثقافة والفنون / أنقرة
Turkish Arab Association for Science, Culture and the Arts (TASCA)

الهاتف: ٠٠٩٠٣١٢٤٩٦٢٨٤١ الجوال: ٠٠٩٠٥٣٢٢٥٤٠٠٤٠ / الفاكس: ٠٠٩٠٣١٢٤٩٦٢٨٤٢



قونيا

عاصمة السلاجقة عبر التاريخ

جمال الدين سنجار

قونيا - تركيا

إن مدينة قونيا كانت وما زالت مهداً للأمم والحضارات التي تنبع من أعماق التاريخ. (الحثيثيون، والفريقيون، والليديون، والفرس، واليونان، والرومان، والسلجوقيون، والعثمانيون).

تاريخها

إن مدينة قونيا الواقعة حالياً في وسط تركيا كانت مسكناً لكثير من الأمم من عام ٧٠٠٠ ق.م. أما بعد الميلاد فقد سكنها الرومان عام ٣٩٥ مدة طويلة. ثم فتحها الأمويون في أوساط القرن السابع تحت قيادة معاوية بن أبي سفيان مدة قصيرة. واستمرت قونيا إمارة للبيزنطيين حتى القرن العاشر. وفي تلك المدة هاجمتها الجيوش العربية الإسلامية، ولكن لم تتمكن من فتحها. وأول من استولى على قونيا بكاملها هم السلجوقيون الذين دخلوها عام ١٠٦٩م، تحت قيادة سليمان شاه، ثم اتجه إلى مدينة إزنيك في عام ١٠٩٧م، واتخذها عاصمة للدولة السلجوقية الأناضولية. وبعدما سقطت هذه الدولة على يد الصليبيين أصبحت قونيا العاصمة الثانية للدولة.

أما دخول قونيا تحت سيطرة العثمانيين فقد كان في عام ١٤٦٧م، ومن ذلك الوقت أصبحت قونيا مركزاً للحضارة الإسلامية إلى يومنا هذا، ولله الحمد.

معالم ولقطات عبر التاريخ

- كِلِيسْتِرَا - Kilistra: كنيسة قديمة تقع جنوب غرب قونيا، في







مشاهد من متحف (مولانا)



قبة متحف (مولانا)

قرية كوكترك -Göktürk. يحكى أن العزيز باولوس المذكور في الإنجيل مرّ على هذه الكنيسة.

- بينار أفلاطون (نبع أفلاطون) - Eflaton Pınarı: إن هذا النبع يبعد عن محافظة بايشهير -Beyşehir عشرين كيلو متراً. لقد بنى عليه الحثيثيون مشهداً تاريخياً في القرن الثاني عشر ق. م.
- قصر قوباد آبان -Kubat Abad Sarayı: لقد بنى هذا القصر السلطان السلجوقي علاء الدين كيكوباد في غرب بايشهير. وهو القصر الذي تظهر عليه الفنون والرموز السلجوقية من الزخرفة والرسوم المنحوتة.

المكتبات

من أكبر تراث هذه المدينة هي المكتبات الحكومية والأهلية حيث يوجد في هذه المكتبات عشرات الآلاف من الكتب المخطوطة والمطبوعة النادرة، ومن أهم مكتباتها:

مكتبة يوسف آغا:

لقد أمرتْ بإنشاء هذه المكتبة، مهْرشاه سلطان، والدة السلطان سليم الثالث عام ١٧٨٦م، تحت إشراف يوسف آغا. المبنى ذو طابق واحد من حجر مقطوع، ويظل المبنى قبة واحدة.

مكتبة يوسف آغا هي من أهم المكتبات في مدينة قونيا، حيث يوجد فيها ٣١٨٦ مخطوط و٨٦٣٧ مطبوعاً.

مكتبة منطقة قونيا للمخطوطات:

إن هذه المكتبة أنشئت من قبل وزارة الثقافة والسياحة عام ١٩٨٤م وأهم ميزة لهذه المكتبة أنها تتمتع بصلاحية جمع الكتب من جميع تركيا قانونياً. ثم تقوم بترميمها وتسجيلها على الأقراص، ثم تقدمها للراغبين مقابل أجرة. أما الآن فيوجد فيها ٨٩٣٣٧ كتاباً، منها ٦٨٦١ مخطوطاً. ولو جمعنا هذه الكتب مع الكتب التي أتت من خارج قونيا لكان المجموع ٧٧١٦٣ كتاباً. إن مكتبة منطقة قونيا للمخطوطات، تؤدي أدواراً مهمة، منها: تعليم الخط العربي، والتهذيب، وصناعة أبرو، والتجليد، وغير ذلك من أنشطة ثقافية. وهناك مكتبات أخرى حكومية وأهلية تزيد ثقافة المدينة.

المساجد في قونيا

إن مدينة قونيا تحتضن الآلاف من المساجد الضخمة ذات القبب المرتفعة، والمآذن العالية، سواء أكانت بنيت في عهد السلجوقيين والعثمانيين، أم في عهد الجمهورية التركية. فإن المخططات متشابهة جدّاً، إلا أنّ هناك فرقاً في المواد العمرانية. فالسلجوقيون يعتمدون على الطوب الترابي الأحمر كثيراً مع قلة الزخرفة. وأما العثمانيون فيعتمدون على الحجر المنحوت، والزخرفة الخزفية، مع الخط الثلث الجلي في جدران المساجد والمدارس. ولو نظرنا إلى نوعية عمران المساجد في عهد الجمهورية التركية لوجدناها مشابهة للعمران العثماني. إلا أن الأسمنت والحديد هما أصل مواد العمران. أما الزخرفة والخزف فقد بولغ فيهما أكثر من العثمانيين.

جامع علاء الدين:

إن هذا الجامع يعد أحد المعالم السلجوقية في مدينة قونيا. لقد أمر ببناء هذا الجامع السلطان السلجوقي ركن الدين مسعود الأول عام ١١١٥-١١١٦م. وانتهي عام ١٢٢١م في عهد علاء الدين كيكوباد الأول؛ ولذلك سمّي بجامع علاء الدين. ويتكون هذا الجمع الضخم من أربعة أقسام.

الأول: هو القسم الشرقي الذي فيه ٤١ أسطوانة رخامية يرتكز عليها السقف.

الثاني: هو القسم المربع الذي فيه المنبر والمحراب اللذان تعلوهما قبة مرتفعة جدّاً. والمنبر في هذا الجامع من الآثار الوحيدة قدماً وحرفة؛ إذ هو مصنوع من خشب الأبنوس الصلب على هيئة



طابع معماري مميز لمساجد قونيا



جامع العزيزية

تشتهر مدينة قونيا بالحمامات السلجوقية والعثمانية، وهذه الحمامات تدل على أهمية النظافة عند المسلمين

الأشكال الهندسية والنباتية المتشكلة من القطع المتداخلة بعضها في بعض من دون استعمال أي مسمار .أما المحراب فهو من الرخام المنحوت المشكل، ويحيطه الخزف الملون من الأزرق والأبيض والأسود، المكتوب عليه بأجمل الخطوط . كما أنّ الخزف هو على أشكال هندسية ونباتية ويقال له الكاشي.

الثالث: وهو القسم الغربي، ويسمّى المحفل، وهو مرتكز على عدّة أعمدة، ولقد أضيف إلى الجامع مؤخراً وكان السلاطين يصلون هناك.

الرابع: أما هذا القسم فيقع في الشمال، ويتكون من حَوْش كبير فيه أبواب الجامع والأروقة، كما يوجد فيه قبتان على عدد للقبور السلاطين، وصهريج كبير للمياه. وجدران هذا القسم تشبه جدار الحصون. والجامع له مئذنة واحدة غير عالية، ذات شرفة واحدة. وكذلك يوجد في ناحية شمال هذا الجامع قصر علاءالدين الذي بني باللبنة الترابية. وما زال قسم من جدران هذا القصر محفوظاً تحت مظلة أسمنتية إلى يومنا هذا.

جامع العزيزية :

هو من الفن المعماري المزيّن على الطراز العثماني. وقد أمر بعمارته السلطان عبدالعزيز عام ١٨٧٤م باسم والدته «بَرْتَوْنِهَال». الجامع مبني من الحجر المقطوع. وله ثلاثة أبواب. الغريب واللافت للنظر نوافذه التي تحيط به من جميع الجوانب، وهي أكبر من أبوابه. كما له قبة ضخمة تغطي جميع الجامع. أما محرابه فهو مزيّن بأسطوانات رخامية منحوتة ومدوّرة. كما أن المنبر كأنه قطعة من رخام مخرم على أشكال هندسية. وللجامع مئذنتان في الشمال، وتحت كل مئذنة يوجد شَادِرْوَان (حنفيات للوضوء).

المدارس

دار الحفاظ «خاصباي أوغلي»:

إن هذه المدرسة نعلم من الكتابة الموجودة على بابها، أنه أمر بعمارتها خاصباي أوغلي محمد، في عهد طومان أوغلي محمد عام ١٤٢١م، وقد أنشئت هذه الدار لتحفيظ القرآن الكريم فقط. والعمارة مبنية بالطوب الأحمر من الداخل، وملبسة بالحجر والرخام من الخارج. كما أن هذا الرخام وهذه الحجارة الملبسة مخرمة على أشكال هندسية. والعمارة لها قبة مرتفعة جداً معمولة من الطوب.

مدرسة قراطاي:

لقد أمر بعمارتها الأمير جلال الدين قراطاي في عهد السلطان السلجوقي عزة الدين كيكاووس الثاني عام ١٢٥١م. ويعد هذا المبنى من أهم المباني السلجوقية، التي فيها أدق الفن المعماري والتزيين في الداخل والخارج، فالداخل مزيّن بالخزف ذي الأشكال

الهندسية، والخطوط العربية، كما أن بعض الجدران الخارجية، وخصوصاً جهة الباب الرئيس منحوت ومخرم على أشكال هندسية، وعليها كتابات خطية جميلة جدّاً.

مدرسة إينجا مينارة (مدرسة المنارة الرفيعة):

هذه المدرسة أمر بعمارتها الوزير صاحب العطاء فخر الدين علي عام ١٢٥٤م، وقد أنشئت هذه المدرسة داراً للحديث، ولذلك يقال لها: «دار الحديث» ومن أهم ميزة هذه المدرسة، أن لها باباً كأنه قطعة واحدة من حجر، حيث إنّ الخط العربي يبدأ من أسفل جانبه الأيمن إلى الأعلى، وينزل إلى جانبه الأيسر مع الأشكال هندسية الفيكورية. أما المئذنة الرفيعة العالية فقد أصابتها الصاعقة عام ١٩٠١م وأسقطت نصفها.

مدرسة سرجلي:

لقد أمر بعمارتها بدر الدين مصلح عام ١٢٤٢م؛ لتؤدي دورها في تعليم العلوم الدينية، ولذلك سميت «المصلحية» أيضاً. كما تسمى «جينيلي مدرسة» لكثرة الخزف فيها. إن فناء هذه المدرسة مستطيل ومفتوح أعلاه، ولذلك تعد هذه المدرسة من أجمل المدارس السلجوقية المفتوحة ذات الطابقين، حيث إن بابها الرئيس المنقوش بجميع جوانبه بأشكال هندسية، والأروقة ذات الطابقين الحاوية غرف الطلاب تحيط بفناء المدرسة. وقد أصبحت هذه المدرسة متحفاً عام ١٩٦٠م، إذ يوجد فيها مشاهد القبور التي تعود إلى السلجوقيين، والإمارات السلجوقية، والعثمانيين.

المتاحف

يوجد في مدينة قونيا متحف كبير غني بالآثار القديمة، كالرومانية والبيزنطية، وتشتهر فيها اللحود الرخامية وأنواع التماثيل.

متحف قويون أوغلي:

ومن أهم المتاحف الثقافية «متحف قويون أوغلي» الذي جمع ما فيه صاحبه عزّت قيون أوغلي، ثم أهداه إلى بلدية مدينة قونيا عام ١٩٧٣م، ثم قامت البلدية بتأسيسها متحفاً عام ١٩٨٤م. يوجد فيه الآلاف من المخطوطات، واللوحات الخطية النادرة، والوثائق القديمة، والكتب المطبوعة النادرة، والمسكوكات (العملات



مدرسة المنارة الرفيعة

متحف مولانا

إن هذا المتحف يتكون من ضريح مولانا جلال الدين الرومي ودراويشه، وجامع، وفناء كبير، وعدة أورقة حول الفناء، وغرف داخلية كان يستخدمها الدراويش والضيوف، ومكتبة صغيرة.

إن متحف جلال الدين الرومي له دور كبير في سمعته، وهو رجل صوفي مفكر شهير لقب بـ «مولانا». وهذا الضريح والمتحف يزورهما السياح الخارجيون والداخليون؛ لشهرة مولانا بفكرة التسامح في العالم. وكذلك يطلق على منهجه: وطريقته الصوفية هذا اسم المَوْلَوِيَّة.

الحمامات

إن مدينة قونيا تشتهر بالحمامات السلجوقية والعثمانية. وهذه الحمامات تدل على أهمية النظافة عند المسلمين. وهناك عدة حمامات، منها: حمام خاصباي أوغلي في منطقة مرام، وسلطان حمام، وحمام محكمة، وحمام أحمد أفندي، وكلها لا تزال مفتوحة منذ مئات السنين.

البحيرات

تعدّ مدينة قونيا من أهم المدن الغنية بالبحيرات، فأكبر بحيرة فيها هي بحيرة الملح -Tuz gölü التي يستحصل منها على ٣٠٪ من إنتاج تركيا برمتها من الملح. وبحيرة بايشهير العذبة الماء، وبحيرة مكا البركانية، وهي ذات منظر خلاب على شكل صحن مدور. وهي مالحة جدًا. واللافت للنظر يوجد هناك بئر عذبة الماء بجانبها. وبحيرة آجيكول المالحة الماء، وبحيرة شِيرَالِيكُول العذبة الماء، وبحيرة المَيل.

الخانات (الفنادق القديمة على الطرقات)

إن السلجوقيين والعثمانيين لهم اهتمام كبير في راحة المسافرين بين الطرق. ولذلك كانوا يبنون الخانات على الطرق؛ لكي يبيت المسافر هو وراحلته هناك، ثم يستمر إلى حيث أراد.

المغارات

هناك عدة مغارات كبيرة في المنطقة. ويزورها الآلاف من السياح من الداخل والخارج. منها ما هي جافّة، ومنها ما فيه مياه



مدرسة قراطاي من الخارج

المعدنية القديمة). كما يوجد في فناء هذا المتحف أنواع من اللحود القديمة، واللوحات الحجرية والفخارية المتنوعة.

متحف أتاتورك موزسي:

أي: متحف أتاتورك - مؤسس الجمهورية التركية - حيث يوجد أغراض متنوعة تتعلق بأتاتورك من ثيابه وعصيه وكتبه، التي كان يقرأ فيها، والمخطوطات عن الحروب التي خاضها الشعب التركي ضد المستولين على الأناضول.

من أكبر تراث مدينة قونيا هي المكتبات الحكومية والأهلية حيث يوجد فيها عشرات الآلاف من الكتب المخطوطة



عذبة، ومنها ما تدفق ماؤها. وكذلك يوجد في المنطقة عدة متنزهات وحدائق ومنتجعات، وأماكن للصيد بترخيص رسمي من الدولة.

المواصلات إلى قونيا

إن مدينة قونيا تتمتع بأنواع المواصلات من الداخل والخارج، حيث يوجد فيها مطار داخليّ من إسطنبول وإليها يومياً في بعض المواسم. كما يوجد قطار من إسطنبول وإليها، أما القطار السريع فهو تحت التنفيذ حالياً. أما طرق البر فمتوافرة من كل النواحي. ويسرّنا أن نذكر القارئ الكريم بأن طريق الحجاز للسكك الحديدية كانت تمر من مدينة قونيا. وكذلك طريق الأناضول وبغداد. ومن أمنيتنا أن يتحقق تنفيذ هذه الطرق للسكك الحديدية مرّة أخرى، حتى تتحقق وحدتها الأخوية التي تستمد قوتها من قيم ديننا.

والجدير بالذكر أن البلديات في مدينة قونيا لها اهتمام كبير بالعمران والتخطيط المدني، والنظافة، والثقافة، والتعاون الاجتماعي، الذي لا بد منه في تحقيق الوحدة والسلام بين المواطنين. ومن أهم أعمال البلدية هناك شبكتان للمياه. واحدة للشرب فقط، إذ إن الماء الذي يجري في هذه شبكة عذب ينبع من الجبال. والثانية للشرب وللاستعمال المنزلي، وهو قسمان: قسم يستخرج من الآبار، وقسم يأتي من السدود.

ومن ميزة هذه المدينة أنها مركز صناعي؛ لأن جميع أنواع قطع غيار السيارات تصنع في هذه المدينة.

المبيت في مدينة قونيا

إن مدينة قونيا التي يقطنها نحو مليون نسمة ترحب بالضيوف دائماً. و يوجد أيضاً عدة فنادق من ثلاثة نجوم إلى خمسة.

المراجع

1- Dünden Bugüne Konya. 2005 Konya Büyükşehir Belediyesi

2- Konya Tarihi. 2005. İbrahim Hakkı Konyalı



دراسات في الشأن الإسلامي / مجموعة باحثين. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٤٩٤ص.

يشتمل هذا الكتاب الدوري الذي يصدر عن رابطة العالم الإسلامي على جملة من الدراسات في موضوعات حيوية، بقلم ثلة من الباحثين المتميزين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، ويعدّ هذا الكتاب واحداً من المشروعات البحثية الارتيادية، التي تأمل الرابطة من دراستها أن تسهم في التبصير والتوعية بقضايا لها نطاق واسع من الاهتمام في الأوساط الإسلامية، وأن يستجلب المزيد من الباحثين والعلماء من أبناء الأمة، للمشاركة بواسطة أطر توجه الطاقات الفكرية نحو أهداف الأمة، في دراسة قضاياها، والدلالة على السبل الراشدة في التعامل مع المستجدات والتكيف الصحيح مع المتغيرات.

وقد جاءت بحوث الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية، ومن بحوث اللغة العربية: «الثقافة الإسلامية والعولمة» للدكتور كمال محمد الصادق عمران، و«الاقتصاد الإسلامي والعولمة» للدكتور مستعين علي عبدالحميد، و«العولمة الأدبية والخصوصية العربية والإسلامية» للدكتور محمد أحمد عبدالله الزهيري، و«أزمة الخطاب الإسلامي والعالمية» للدكتور فريد الأنصاري، و«إستراتيجية التعامل مع الآخر» للدكتور مطيع الله بن دخيل الله الصرهيد، وغير ذلك من البحوث.

وجاءت بحوث اللغة الإنجليزية: «تصحيح صورة الإسلام» للدكتور مراد هوفمان ويلفرد، و«الأداء الاقتصادي لدول منظمة المؤتمر الإسلامي» للدكتور محمد كبير حسان.



سوق الأوراق المالية

عالم من الأسرار!

عبدالله محمد بن صالح المالكي

الرياض - السعودية



يمثل سوق الأوراق المالية الفرع الثاني من فروع سوق رأس المال Capital Market، ويتعلق الاستثمار في هذا السوق بتوظيف الأموال في شراء الأوراق المالية، سواء كانت أسهماً أو سندات، وتنقسم بدورها إلى سوقين: أحدهما: يختص بإصدار الأوراق المالية، ويسمى سوق الإصدار، والآخر: يختص بتداول الأوراق المالية، ويسمّى سوق التداول.

سوق الأوراق المالية

تعرف سوق الأوراق المالية Securities Market «بأنها السوق التي تتعامل في الاستثمار المالي المتعلق بالأوراق المالية (الأسهم والسندات) سواء عند إصدارها أول مرة، أو عند تداولها بعد ذلك»، وتعرف أيضاً بأنها: «سوق مستمرة وثابتة المكان، تقام في مراكز التجارة والمال في مواعيد محددة يغلب أن تكون يومية، يجتمع فيها أصحاب رؤوس الأموال والسماسرة ومساعدوهم؛ للتعامل في الأوراق المالية وفقاً لنظم ثابتة، ولوائح محددة»[1].

أنواع أسواق الأوراق المالية

يمكن تقسيم سوق رأس المال (الأوراق المالية) إلى قسمين، هما:

- من حيث التعامل:

تنقسم سوق الأوراق المالية من حيث التعامل إلى نوعين، هما:

١- سوق الإصدار

سوق الإصدار، أو السوق الأولية Primary Markcet هي: تلك السوق التي يتم من خلالها بيع الأوراق المالية المصدرة أول مرة، عن طريق الاكتتاب العام في الأوراق المالية، سواء كانت

أسهماً، أو سندات، التي تسهم في زيادة التكوين الرأسمالي. والسوق الأول هو السوق الذي تخلقه مؤسسة متخصصة تعرض فيه للجمهور - أول مرة - أوراقاً مالية قامت بإصدارها لحساب منشأة أخرى، أو جهة حكومية، هذه المؤسسة المتخصصة تسمى عادة بنكير، أو بنك استثمار، أو المتعهد. وفي الأسواق المالية الصغيرة، يقوم بهذه العملية البنك التجاري (كبنك استثماري)، كما هو الحال في المملكة العربية السعودية، ودول الخليج العربي. علماً أن سوق الأوراق المالية في المملكة شهد تطوراً ملموساً في السنوات الأخيرة، توجهاً لسياسة الدولة نحو التخصيص، وفتح المجال للقطاع الخاص بشكل أكبر للمشاركة في تحقيق التنمية الاقتصادية. كما أن لانضمام المملكة العربية السعودية في منظمة التجارة العالمية، والدخول في المنافسة الدولية، دوراً كبيراً في ذلك، لذلك لاحظنا عدداً من الإصدارات أو الاكتتابات التي طرحت للجمهور، كما أن هناك كثيراً من الشركات في طريقها إلى الطرح أو إلى التحول إلى شركات مساهمة، وبانتظار الترخيص، أو استكمال الإجراءات، التي تتطلبها هيئة سوق المال.

٢- سوق التداول:

سوق التداول، أو السوق الثانوية Secondary Market تعبر عن المكان، الذي تتم فيه جميع المعاملات بيعاً وشراء، التي يترتب عليها نقل ملكية الأوراق المالية طويلة الأجل من الأسهم والسندات السابق إصدارها من بائع إلى مشترٍ. ويعرِّف صندوق النقد العربي السوق الثانوية بأنها: «السوق التي يجري فيها التعامل بالأوراق المالية بعد إصدارها، واستكمال إجراءات الاكتتاب بها، في إطار القوانين والأنظمة، والتعليمات المعمول بها».


تداول الأوراق المالية في السعودية من خلال (تداول)

هناك لبس لدى بعضهم بين السوق الثانوية، كما هي مذكورة آنفاً، وسوق ثانية للأوراق المالية. والحقيقة أن سوق التداول في المملكة هي سوق ثانوية، لكن إلى اليوم لا يوجد سوى ثانوي واحد، ومع ذلك هناك من يطالب بإيجاد سوق ثانوية (سوق تداول) ثانية للشركات الصغيرة، أو الخاسرة التي أدرجت حديثاً، وتلك التي بحاجة إلى وقت حتى تصل إلى مستوى الشركات الكبيرة التي تلتزم معايير الإفصاح والشفافية، وغيرها من المعايير المحاسبية



المتعارف عليها، التي أقرتها هيئة السوق إلى حد ما، أي: إن الإفصاح التطوعي لا يزال معدوماً، ويمكن الاستفادة في هذا الشأن من الأسواق المجاورة، كسوق دبي، حيث إنها قامت بتصنيف سوق الأسهم إلى فئتين، هما: الأسهم النشطة (الأكثر تداولاً)، والأسهم غير النشيطة (الأقل تداولاً). كما يمكن أيضاً رفع نسبة التذبذب في الأسواق النشيطة إلى ١٥٪ صعوداً وهبوطاً، في حين تكون نسبة التذبذب للأسواق غير النشيطة ٥٪ كحد اقصى في الاتجاهين[٢].

- من حيث التنظيم:

تنقسم سوق الأوراق المالية من حيث تنظيمها إلى نوعين، هما:

١- البورصة:

السوق المالية المنظمة (بورصة الأوراق المالية)[٣] Organized Securities Exchange هي سوق منظمة لتداول الأوراق المالية، بواسطة أشخاص مؤهلين ومتخصصين جداً في هذا النوع من النشاط، تجري في مكان محدد (البورصة)، وفي أوقات محددة، ويحكم المتعاملين فيها تشريعات ولوائح معينة. وتقوم على إدارتها هيئة تتولى الإشراف على التنفيذ واللوائح والتشريعات. ويمكن تقسيم أسواق الأوراق المالية المنظمة (البورصات) إلى أسواق مركزية، مثل: بورصة لندن، أو نيويورك، أو طوكيو، وأسواق محلية.

ولا تزال عملية التداول في سوق الأوراق المالية السعودية تتم عن طريق شركة تداول، من خلال البنوك التجارية وفروعها. وقد اقترح بعضهم إيجاد بورصة للأوراق المالية في المملكة على غرار البورصات العالمية، والأخرى الناشئة. ويؤيد الكاتب هذا الاقتراح، بل أرى أنه أصبح أمراً ملحاً في الوقت الراهن، كما اقترح إيجاد أكثر من بورصة في المملكة مستقبلاً - وذلك لاتساع المساحة الجغرافية، وتباعد المناطق بعضها عن بعض، في كل من الرياض وجدة والدمام. وقصر عملية التداول في البورصات فقط بعد سحبها بالتدريج من البنوك التجارية، علماً أن خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - أصدر توجيهاته بإقامة مركز مالي (مركز الملك عبدالله المالي) في مدينة الرياض؛ ليكون أكبر مركز مالي في الشرق الأوسط، وستكون بورصة الأوراق المالية جزءاً من هذا المركز العملاق، إضافة إلى مكاتب الوساطة المالية، والاستشارات، وبيوت الخبرة في سوق المال، والأكاديمية المالية.

ولا شك أن هذا الإنجاز المزمع تنفيذه في السنوات الثلاث المقبلة سيسهم في تطور سوق الأسهم؛ بل إنه من المتوقع أن يحدث نقلة نوعية في سوق الأوراق المالية خاصة، وسوق المال بشكل عام، إذا صاحب ذلك تطور في الوعي والثقافة الاستثمارية لدى المتعاملين بالسوق، سواء من صغار

المستثمرين، أو المضاربين، أو من كبارهم، أي: إن ثقافة الجميع بحاجة إلى تطوير لترقى إلى الثقافة الاستثمارية المسؤولة.

٢- سوق غير منظمة

يطلق اصطلاح السوق المالية غير المنظمة Unorganized Market على المعاملات التي تتم خارج البورصات، والتي يطلق عليها المعاملات على المنضدة Over the Counter otc، والتي تتولاها بيوت السمسرة المنتشرة في جميع أنحاء الدولة. ويتم التعامل في هذه السوق على الأوراق المالية غير المسجلة في السوق الرسمية، كما أنه لا يوجد مكان محدد لإجراء مثل هذه المعاملات. وتتم من خلال شبكة اتصال قوية (خطوط هاتفية - أطراف الحاسب الآلي - شبكة الإنترنت - الهاتف المحمول) تربط بين السماسرة والتجّار والمستثمرين[٤].

وظائف سوق الأوراق المالية

تقوم سوق الأوراق المالية بعدد من الوظائف، سواء للمستثمر الفرد، أو لمنشآت الأعمال، أو للاقتصاد الوطني، ويمكن إيجازها فيما يأتي[٥]:

- التعامل في الأوراق المالية (أسهم وسندات).
- الاستثمار في رؤوس الأموال.
- تشجيع الادخار، وتجميع الأموال.
- توجيه الاستثمار.
- خلق رؤوس أموال جديدة.
- إرشاد المستثمر لأفضل الأسعار المعلنة.



معظم الأموال والأرصدة التي كانت معطلة، أو مجمدة، في حسابات جارية في البنوك السعودية تم ضخها في سوق الأسهم السعودية في السنتين الأخيرتين

- ضمان سيولة أموال المستثمرين.
- تعد سوق الأوراق المالية (البورصة) جهاز الرقابة على الشركات المساهمة وإدارتها.
- تكفل سوق الأوراق المالية (البورصة) حرية المساومة.
- تلغي سوق الأوراق المالية (البورصة) إلى حد كبير تأثير بعض الأفراد في أسعار الأوراق المالية؛ وذلك لكثرة المتعاملين في البورصة، وكبر حجم المعاملات. ومع ذلك نجد أن للأفراد (كبار المضاربين) تأثيراً في سوق الأسهم السعودي، في توجيه الاستثمار أو المضاربة لأسهم شركات معينة. وهذه في رأيي من كبرى المعضلات أو التحديات التي تواجه السوق والهيئة معاً، فإذا ما تم التعامل معهم بطريقة تؤدي إلى كسبهم إلى مصلحة السوق، وليس ضده، وأخذ آرائهم واقتراحاتهم لاستشراف مدى تأثير القرارات التي ستتخذها الهيئة في السوق والمتعاملين به.
- تساعد سوق الأوراق المالية (البورصة) على مرونة السوق في امتصاص الهزات والتقلبات.

وقد لا تكون هذه الوظيفة واضحة في سوق الأسهم السعودي حالياً؛ لأنها تأخذ وقتاً طويلاً نسبياً، في حين أن المتعاملين في السوق يطالبون الدولة بالتدخل عند أي طارئ يلم بالسوق.

- تساعد سوق الأوراق المالية (البورصة) على إعطاء المستثمرين معلومات قيمة عن الشركات التي يساهمون فيها، عن طريق نشر الوعي المالي والاستثماري.
- وقد بدا ذلك جلياً لدى المجتمع السعودي والخليجي من خلال ما تصدره هيئات سوق المال، وشركات التداول من إصدارات أو إعلانات، هدفها نشر الوعي المالي والاستثماري بشكل عام في السنوات الثلاث الأخيرة، وذلك لتوجيه معظم استثمارات الأفراد إلى أسواق الأوراق المالية.
- تساعد سوق الأوراق المالية (البورصة) على ترشيد المدخرات.
- إتاحة فرص الاستثمار في درجات متفاوتة من حيث المخاطر.
- تؤدي سوق الأوراق المالية (البورصة) دوراً غير مباشر في تمويل المشروعات الاستثمارية عن طريق ضمان السيولة لمن يشتري أسهماً في تلك المشروعات.
- توفر سوق الأوراق المالية (البورصة) ميزة مهمة للسوق، وهي سرعة تنفيذ الأوراق المالية أوبيعها وشرائهاخلال مدة التعامل.

إلا أن هذه الميزة أيضاً لم تتحقق للسوق السعودي على الدوام، خصوصاً في أوقات الذروة، فقد أدى ذلك إلى تعطل نظام التداول أكثر من مرة، وهذا ما ألحق خسائر للمتعاملين في السوق، لذلك يطالب المتعاملون في السوق بتحديث أنظمة التداول وآلياتها وتطويرها لتواكب النمو الكبير في السوق، سواء من حيث الكم (عدد المستثمرين، أو المتعاملين، وعدد الصفقات، أو الكميات المتداولة من الأسهم)، أو من حيث القيمة (قيمة الأسهم المتداولة، أو القيمة الرأسمالية للسوق)، التي تجاوزت في زمن سابق ثلاثة تريليونات من الريالات السعودية.

أنواع الأوراق المالية

أولاً- الأسهم

السهم: «صك يمثل حصة في رأس مال شركة مساهمة، أو إحدى شركات الأموال». أو أنه «صكوك متساوية، قابلة للتداول في بورصة الأوراق المالية، بالطرائق التجارية، أو تمثل مشاركة في رأس مال الشركة المساهمة، أو إحدى شركات الأموال. ويمثل السهم حصة الشريك بالشركات التي تساهم في رأس مالها الذي يتكون من مجموع الحصص، أي مجموع الأسهم النقدية والعينية على السواء» ويمكن التمييز بين نوعين من الأسهم:

- الأسهم العادية Common Stock[٦]

يمتلك (حاملو هذه الأسهم) الشركة، مثلهم مثل «الشركاء» في شركات الأشخاص، في حدود قيمة السهم الاسمية، ولا يحصل حاملو الأسهم العادية على عائد محدد مقابل شرائهم هذه الأسهم. ويعرف السهم العادي بأنه: «ورقة إثبات تعبر عن حصة الملكية في الشركة أو المؤسسة»، وأنواعها: الأسهم العادية التقليدية، والأسهم العادية للأقسام الإنتاجية، والأسهم العادية



ذات التوزيعات المحصصة، والأسهم العادية المضمونة القيمة.

وتجدر الإشارة إلى أن الأسهم العادية هي التي تتداول في السوق السعودية للأسهم.

- الأسهم الممتازة Preference Stock

تقع هذ الأسهم بين الأسهم العادية والسندات، وتشبه الأسهم العادية لكونها حصة في ملكية المنشأة، كما يمكن لصاحبها المطالبة بحصته، بينما تشبه السندات؛ لأنها تمثل أرباحاً محددة في الغالب، ولا يوجد التزام قانوني بدفع هذه التوزيعات، وتدفع فقط في حالة إقرار مجلس الإدارة.

ثانياً- السندات

وتعرف السندات بأنها «شهادة إثبات مديونية تتم بين المقرض والمقترض، وهي قابلة للتداول».

ويقوم المقترض بدفع نسبة فائدة سنوية أو نصف سنوية، ثم يفي بالأصل في تاريخ استحقاقه، ويراوح عمر السند بين سنة وأكثر، وما يميزه من القرض أنه قابل للتداول أو التحويل. وتجدر الإشارة إلى أن ما يتداول حالياً في سوق الأوراق المالية السعودية هو الأسهم فقط، ومع ذلك فإن سوق السندات في المملكة تمر في مراحل تطورها الأولى، فهناك دعم قوي من الحكومة للقطاع المالي يتمثل في موافقة مجلس الوزراء في رمضان سنة ١٤٢٦هـ على تعميق السوق الثانوية للأوراق المالية بإنشاء سوق ثانوية للسندات الحكومية[٧].

شروط قيام سوق الأوراق المالية[٨]

يتطلب قيام سوق الأوراق المالية مجموعة من الشروط، من أهمها:

- تبني فلسفة اقتصادية حرة قائمة على الثقة بقدرات قوى السوق (آلية السوق) على تحريك النشاط الاقتصادي في ظل محددات الكفاءة الاقتصادية، والسلوك الرشيد لكل فرد من الأفراد والهيئات القائمة بالنشاط الاقتصادي، ومع ذلك نجد أن هذا الشرط لا ينطبق - إلى حد كبير في بعض جوانبه - على أسواق الخليج، والدول العربية الأخرى لعدة أسباب، منها:

حداثة الأسواق المالية، وقلة الوعي الاستثماري لدى شريحة كبيرة من أفراد هذه المجتمعات، والاعتماد على الشائعات وترويجها على حساب المعلومات الصحيحة، ومعايير الأداء والربحية، أو المراكز المالية للشركات، واللجوء إلى أسلوب المضاربات بشكل واضح وكبير على حساب الاستثمار المتوسط أو الطويل المدى.

وقد لا يتوافر شرط السلوك الرشيد أيضاً لكل فرد من الأفراد والهيئات القائمة بالنشاط الاقتصادي بشكل مقبول للأسباب المذكورة آنفاً. ويضاف إلى ذلك عدم الثقة بقوى السوق، وهذا ما يلاحظ من المطالبات الشعبية المتكررة لتدخل الدولة، بل الملك، أو رئيس الدولة في السوق عند أي هزة، مثلما حدث في المملكة العربية السعودية والأردن، على سبيل المثال.

- ضرورة وجود حجم كاف من المدخرات الوطنية والأجنبية المعروضة للاستثمار من خلال السوق، يقابل ذلك وجود طلب كاف على هذه المدخرات. ويعد هذا الشرط من أكثر الشروط التي أدت إلى انتعاش سوق الأوراق المالية (الأسهم) في المملكة؛ وذلك للسيولة المرتفعة، خصوصاً بعد التغييرات الاقتصادية والسياسية الأخيرة، مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، وما تبعها من عودة رؤوس الأموال المهاجرة، وارتفاع أسعار النفط.

وزيادة الإنفاق الحكومي، وتخفيض أسعار السلع، مثل الوقود، والتسهيلات الائتمانية الكبيرة، وغيرها.

- وجود طاقة استيعابية مقبولة ومعقولة وقادرة على استيعاب رأس المال المعروض، تتمثل في توافر المشروعات ذات الجدوى الاقتصادية، والربح المجزي.

أعتقد أن المملكة تمر بنهضة تنموية كبيرة وغير مسبوقة في شتى المجالات - وخصوصاً النشاط الاقتصادي - وإن كان هناك تصنيف لمراحل التنمية في المملكة فإن هذه المرحلة في رأيي تعد المرحلة الثانية (مرحلة الازدهار) بعد مرحلة التأسيس، وإنشاء البنى التحتية التي بدأت منذ الخطة الأولى في بداية التسعينيات الهجرية. ومن المآخذ على سوق الأوراق المالية السعودية قلة عدد الشركات المدرجة؛ وهذا أدى إلى صغر حجم السوق. ومع ارتفاع حجم القيمة الرأسمالية للسوق مقارنة بحجم الناتج المحلي الإجمالي GDP «إذ بلغت القيمة الرأسمالية للسوق ثلاثة أضعاف حجم الناتج المحلي في فبراير عام ٢٠٠٦م، وقبل التصحيح أو الانهيار الكبير» أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار الأسهم، وزيادة حدة المضاربات (أي سيولة كثيرة تطارد أسهماً قليلة).

- وجود الأطر التشريعية والتنظيمية الفعّالة ذات المرونة والقدرة على التكيف المستمر مع المتغيرات الاقتصادية والقومية والدولية.

ومع التطور الذي حدث في سوق المال في المملكة، وبشكل خاص فيما يتعلق بسوق الأوراق المالية، من صدور نظام السوق المالية، وإنشاء هيئة سوق المال، وغيرها، إلا أن السوق السعودي لا يزال بحاجة إلى تفعيل الأنظمة القائمة، واستصدار أنظمة حديثة تشريعية وتنظيمية ورقابية، من شأنها الحد - بشكل حازم - من التجاوزات التي تحدث بين وقت وآخر في السوق.

- توافر المؤسسات المصرفية والمالية الفعالة والمتنوعة حتى

من ضمن الانتقادات التي وجهت للمصارف تحقيقها أرباحاً طائلة، في الوقت الذي يعاني سوق الأسهم تصحيحات حادة ومؤلمة

الجدل حول السعر العادل للأوراق المالية لا يزال قائماً بين المحللين الماليين والمحاسبين والاقتصاديين والخبراء المهتمين بسوق الأسهم السعودي، وذلك لعدة أسباب

تؤدي دورها المطلوب في تجميع المدخرات الوطنية والأجنبية من جانب، واستخدام الفرص الاستثمارية وتوليدها وتجهيزها في شكل مشروعات استثمارية، والترويج لها من جانب آخر.

إلا أن وضع المؤسسات المصرفية والمالية في المملكة لا يفي بمتطلبات السوق الراهنة والمنظورة، وخصوصاً مع ازدياد أعداد المستثمرين والمضاربين الداخلين في سوق الأسهم من كل شرائح المجتمع، وخصوصاً ذوي الدخول المتوسطة والمحدودة. ولا يزال سوق الأوراق المالية بحاجة إلى تسريع قرارات الترخيص لمؤسسة الوساطة والسمسرة (صناع السوق الرسميين)؛ بشرط ألاّ يكون على حساب الجودة والحرفية أو المهنية.

- تنوع الأدوات المالية ذات المزايا المختلفة التي تضمن للسوق توسعاً وفعالية، وتتيح الفرص أمام كل المتعاملين. وهذا الشرط أيضاً لا يزال غير متوافر في سوق الأسهم السعودية، إذ يقتصر التعامل في سوق الأوراق المالية السعودية على (الأسهم)، وهذه من المآخذ التي تحسب على السوق، لذلك يستحسن الإسراع في عملية تنويع الأدوات المالية، التي من شأنها تعميق السوق، مثل: السندات، والأدوات المالية الجديدة (الابتكارات المالية)، مثل المشتقات Derivative، أي: التعامل مع المستقبل من خلال الأدوات الآتية: المبادلات Swaps، والمستقبليات Futures، والسقف والقاعدة Collars، والخيارات Options، وغيرها.

- ربط سوق الأوراق المالية محلياً وإقليمياً ودولياً، عن طريق وسائل الاتصال المختلفة، والأخذ بما هو حديث في هذا المجال.

بالنسبة إلى هذا الشرط أيضاً هناك كثير من المطالبات بربط السوق الخليجية، وفتحها أمام المستثمرين الأجانب في الخارج بشكل مباشر، إلا أنه يجب مراعاة أن تحدد نسبة للمستثمرين



الأجانب؛ للاستثمار في المحافظ المالية، كما يرى بعض الخبراء، على ألاّ تجاوز ١٥٪ على الأكثر؛ تفادياً لحدوث أي انهيارات، أو أزمات، لا سمح الله، كما حدث لنمور شرق آسيا عام ١٩٩٧م[٩].

مواصفات سوق الأوراق المالية الجيدة[١٠]

يطلق على سوق الأوراق المالية سوقاً جيدة إذا توافرت فيها بعض السمات أو الخصائص، التي يمكن إبراز أهمها فيما يأتي:

- توافر المعلومات والبيانات: أي: أن يكون باستطاعة المشاركين في السوق الحصول على المعلومات حول حجم التعاملات السابقة وأسعارها (البيع والشراء) في وقتها، وبدقة تامة.

ويعدّ تسريب المعلومات والشائعات من أهم المشكلات التي تواجهها سوق الأوراق المالية في المملكة والدول العربية. لذا يجب تفعيل مبدأ الإفصاح والشفافية، وحوكمة الشركات، وأخلاقيات العمل والمهنة، من أهم الوسائل التي يمكن أن تحد من هذه المشكلة، كما أن المتعاملين في السوق - بواسطة شبكة الإنترنت - تصلهم المعلومة بعد خمس دقائق من وقت حدوثها مقارنة بمن يتعاملون بشكل مباشر في السوق[١١].

- توفير السيولة: وهو القدرة على بيع الأصول وشرائها بسرعة وسهولة (تسمى أيضاً Marketability، أي: صلاحية الأسهم للعرض في السوق)، وبسعر محدد ومعروف، أي: عدم حصول تغير كبير وفجائي في سعر السهم بين معاملة وأخرى، إلا إذا توافرت معلومات جديدة مهمة وجوهرية.

- العمق: أي: وجود عدد كبير من البائعين والمشترين المحتملين، الراغبين في إجراء المعاملات بأسعار تزيد أو تقل عن سعر السوق الجاري.

حقق سوق الأسهم السعودية قفزة كبيرة في عدد المتعاملين بالسوق، خلال مدة قصيرة لا تجاوز ثلاث سنوات إذ ارتفع عدد المتعاملين في السوق خلال هذه المدة من خانة الآلاف إلى خانة الملايين، فلم يكن يتجاوز عدد المتعاملين في سوق الأسهم السعودية في بداية عام ٢٠٠٣م الخمسين ألف مستثمر، في حين نجد أنه قارب خمسة ملايين في عام ٢٠٠٦م.

- انخفاض كلفة التعاملات: كلما كانت الكلفة منخفضة كانت السوق أكثر كفاءة، وتقاس على أساس نسبتها إلى قيمة المعاملة، وتسمى الكفاءة الداخلية.

ومع ذلك نجد أن كلفة التعاملات في السوق السعودية للأوراق المالية مرتفعة نسبياً مقارنة بالأسواق العالمية والأسواق الناشئة؛ مما يؤثر في كفاءة السوق؛ لذلك يفترض أن تخفض الجهات الإشرافية على السوق والمصارف هذه العمولات إلى الحد المتعارف عليه في الأسواق المالية العالية والناشئة على الأقل[١٢].

- يفضل المشاركون في السوق أن تتعدل الأسعار بسرعة، وفقاً للمعلومات الجديدة (الخارجية) فيما يتعلق بالعرض والطلب على الأصول.

دور الأسواق المالية في النشاط الاقتصادي[١٣]

تتمثل الوظيفة الأساسية لأسواق المال في نقل الأموال

من الأطراف، التي يتوافر لديها فائض من الأموال (مدخرات)، إلى الأطراف التي تعاني عجزاً في الأموال. وتزداد أهمية أسواق الأوراق المالية وضرورتها في المجتمعات التي تتسم بحرية الاقتصاد. وتؤدي أسواق الأوراق المالية دوراً بالغ الأهمية في جذب الفائض في رأس المال غير الموظف، وغير المعبأ في الاقتصاد القومي، وتحوله من مال معطل إلى رأسمال موظف وفعال في الدورة الاقتصادية، وذلك من خلال عمليات الاستثمار التي يقوم بها الأفراد أو الشركات في الأسهم والسندات والصكوك، التي يتم طرحها في أسواق الأوراق المالية، إضافة إلى ذلك تعمل أسواق الأوراق المالية على توفير الموارد الحقيقية لتمويل المشروعات، من خلال طرح الأسهم، أو السندات ،أو إعادة بيع كل من هذه الأسهم والسندات المملوكة للمشروع.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم الأموال والأرصدة التي كانت معطلة، أو مجمدة، في حسابات جارية في البنوك السعودية تم ضخها في سوق الأسهم السعودية في السنتين الأخيرتين، وخصوصاً تلك التي تعود ملكيتها إلى السيدات، وذلك لارتفاع معدل العائد في هذا السوق. فحسب إحصائية حديثة اتضح أن ما تملكه السيدات من سيولة مجمدة في المصارف يقدر بخمسة وأربعين مليار ريال سعودي، وهي تمثل ٧٥٪ من مدخرات المصارف، في حين بلغ حجم الاستثمارات ثمانية مليارات ريال سعودي[١٤].

فضلاً عن ذلك تدر أسواق الأوراق المالية عوائد ومصادر دخل للأفراد، ولا سيما صغار المستثمرين. كما تمثل حافزاً للشركات المدرجة أسهمها في تلك الأسواق على متابعة التغيرات الحاصلة في أسعار أسهمها، ودفعها إلى تحسين أدائها، وزيادة ربحيتها، وهذا يؤدي إلى تحسن أسعار أسهم هذه الشركات. وكلما كانت أسواق الأوراق المالية فعالة أو كفؤة كانت أكثر قدرة على دعم الاستقرار الاقتصادي للدولة وتوطيده؛ وذلك من خلال:

- توفير الحافز والدافع الحيوي لدى جماهير المستثمرين، من خلال تحقيق السعر العادل للأوراق المالية، وحماية الأطراف المتبادلة.

علماً أن الجدل حول السعر العادل للأوراق المالية لا يزال قائماً بين المحللين الماليين والمحاسبين والاقتصاديين والخبراء المهتمين بسوق الأسهم السعودي، وذلك لعدة أسباب، منها: أن أسلوب المضاربات يطغى على الاستثمار؛ مما أدى إلى ارتفاع أسهم

معظم الشركات في سوق الأسهم السعودية تفتقر إلى الشفافية والإفصاح بالدرجة المطلوبة، وفي المقابل قد تتسرب معلومات إلى أفراد معينين بطرائق غير شرعية

شركات تحقق خسائر تراكمية لعدة سنوات، أو لشركات صغيرة لا يمثل سعر أسهمها حقيقة أداء أو الشركة ربحيتها، فعلى سبيل المثال: طرحت بعض الشركات المساهمة السعودية جزءاً من أسهمها للاكتتاب العام في هذا العام بقيمة اسمية ١٠ ريالات للسهم الواحد، وعلاوة إصدار مرتفعة نسبياً، فاقت قيمتها الإجمالية رأس مال الشركة المقرر، كما أثير الجدل حول سعر علاوة الإصدار، وكيف تم التقويم، أو على أي أساس تم ذلك، وهل هو على أساس علمي ومنطقي أم أنه مبالغ فيه؟.

- القدرة على توفير كم مناسب من الأموال وإعادة تدويره؛ لتحقيق السيولة اللازمة للمجتمع، ودعم الاستثمارات ذات الآجال المختلفة.

بالنسبة إلى السيولة، كما أسلفت، لا تعاني المملكة ودول الخليج العربي نقصاً في السيولة، بل العكس تعاني فائض سيولة، سواء عن طريق مدخرات سابقة، أو من خلال التسهيلات الائتمانية الكبيرة، أو من تغيير مجال أو نشاط الاستثمار وغيرها، أما الاستثمارات ذات الآجال الطويلة فلا تزال محدودة نسبياً؛ وذلك لاتجاه المستثمرين إلى المضاربات السريعة (اضرب واهرب، كما يقال).

- رفع درجة الوعي الجماهيري بأهمية التعامل في أسواق الأوراق المالية وتحويلها إلى مستثمرين فاعلين في الاقتصاد القومي.

وهذا الشرط لا شك يعدّ من أكبر التحديات التي تواجهها سوق الأسهم السعودية؛ بسبب نقص الوعي وانخفاض مستوى الثقافة الاستثمارية خاصة فيما يتعلق بالأوراق المالية؛ وذلك نظراً لحداثة السوق من ناحية، كما أن توجه أغلبية شرائح المجتمع بثقافاتهم المختلفة، وعمر هذا التوجه نحو سوق الأسهم، الذي لا يتجاوز السنتين، يعدّ عاملاً ثانياً.

- المساعدة على زيادة مستويات الإنتاج في الاقتصاد، من خلال تمويل الفرص الاستثمارية التي تؤدي إلى رفع مستويات الإنتاج، ثم





صورة توضح انشغال كثيرين بمتابعة الأسهم



رفع مستويات التشغيل أو التوظيف؛ وهذا يؤدي إلى تحقيق مستويات أفضل للدخول، سواء على المستوى الفردي أو المستوى القومي.

وتظهر آثار ذلك من خلال الإصدارات الجديدة للأوراق المالية، وكما ذكرت آنفاً، فإن السوق لا تزال تتسع إلى كثير من الشركات الجديدة، وقد قدرت الشركات التي سوف تطرح أسهمها للاكتتاب في السنوات القليلة المقبلة بين مئتي شركة وثلاثمئة على أقل تقدير، وهذا أمر جيد إن تحقق لا شك.

– تمويل عملية التنمية الاقتصادية؛ وذلك بمساعدة حكومات الدول على الاقتراض من الجمهور؛ لأغراض تمويل مشروعات التنمية، والإسراع بمعدلات النمو الاقتصادي لديها.

كفاءة أسواق الأوراق المالية[١٥]

مفهوم كفاءة السوق

وفقاً لمفهوم الكفاءة، يتوقع أن تستجيب أسعار الأسهم في سوق الأوراق المالية، وعلى وجه السرعة، لكل معلومة جديدة ترد إلى المتعاملين فيه، يكون من شأنها تغيير نظرتهم إلى الشركة المصدرة للسهم، إذ تتجه أسعار الأسهم صعوداً أو هبوطاً: وذلك تبعاً لطبيعة الأنباء إذا كانت إيجابية أم لا. وفي السوق الكفؤ Efficient Market، يعكس سعر سهم الشركة المعلومات المتاحة عنها، سواء كانت تلك المعلومات على شكل قوائم مالية، ومعلومات تبثها وسائل الإعلام، والسجل التاريخي لسعر السهم، أو تحليلات وتقارير حول الحالة الاقتصادية العامة لأداء الشركة، الذي يتضمن مستويات العوائد الفعلية، ورحلة الأرباح، وغيرها. ويعكس سعر السهم في ظل السوق الكفؤ توقعات المستثمرين بشأن المكاسب المستقبلية، وبشأن المخاطر، التي تتعرض لها هذه المكاسب. ولكن مع توافر المعلومات لجميع المتعاملين في السوق، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة تطابق تقديراتهم المستقبلية والمخاطر المحيطة بها تماماً، (خضر، ٢٠٠٤م). كما تعني كفاءة السوق عدم إمكانية تحقيق عوائد غير عادية، أما إذا كان بإمكان مجموعة من المتعاملين الحصول على عوائد أعلى من العوائد العادية، فإن ذلك يلقي ظلاً من الشك على دور سوق الأسهم في تخصيص الموارد. (البازعي، ١٩٩٨م).

الكفاءة الكاملة والكفاءة الاقتصادية:

لكي يسمى مفهوم كفاءة السوق بالكفاءة الكاملة Perfectly Efficient Market يقتضي توافر الشروط الآتية:

– أن تكون المعلومات عن السوق متاحة للجميع وفي الوقت نفسه من دون تكاليف.

وهنا يجب الإشارة إلى أن معظم الشركات في سوق الأسهم السعودية تفتقر إلى الشفافية والإفصاح بالدرجة المطلوبة، وفي

المقابل قد تتسرب معلومات إلى أفراد معينين بطرائق غير شرعية (المعلومات الداخلية) وهذا يعني الاستفادة من تلك المعلومات في البيع بسعر أعلى، أو الشراء بسعر أقل، وتحقيق مكاسب على حساب المتعاملين الآخرين، وخصوصاً الصغار منهم.

- عدم وجود قيود على التعامل، مثل: تكاليف المعاملات، أو ضرائب، أو غيرها.

- للمستثمر الحق في بيع الكمية التي يريدها من الأسهم أو شرائها، ومن دون شروط، وبسهولة ويسر.

إلا أنه بسبب الإقبال الكبير على سوق الأسهم السعودي في السنتين الأخيرتين، وما تبع ذلك من ازدحام شديد في البنوك، وضغوط كبيرة على الأنظمة الإلكترونية والشبكة العنكبوتية، كل ذلك أدى إلى بطء شديد في تنفيذ العلميات، وخصوصاً مع بداية تداول أسهم الشركات أول مرة، مثل ما حدث مع شركة ينساب في بداية أول يوم تداول لها؛ وهذا قد ألحق خسائر كبيرة بالمتعاملين في السوق.

- وجود عدد كبير من المستثمرين بما يؤدي إلى عدم تأثير تصرفات بعضهم في أسعار الأسهم.

- اتصاف سلوك المستثمرين بالرشد، أي: إنهم يسعون إلى تعظيم العائد الذي يحصلون عليه وراء استثمار ثرواتهم.

أما في ظل الكفاءة الاقتصادية للسوق فإنه يتوقع أن يمضي بعض الوقت منذ وصول المعلومات إلى السوق، حتى تبدو آثارها على أسعار الأسهم؛ وهذا يعني أن القيمة السوقية للسهم قد تبقى أعلى أو أقل من قيمته الحقيقية لمدة من الوقت على الأقل، ولكن بسبب تكلفة المعلومات والضرائب، وغيرها من تكاليف الاستثمار، لن يكون الفارق بين القيمتين كبيراً إلى درجة أن يحقق المستثمر من ورائها أرباحاً غير عادية على المدى الطويل.

المملكة تمر بنهضة تنموية كبيرة وغير مسبوقة في شتى المجالات وإن كان هناك تصنيف لمراحل التنمية في المملكة فإن هذه المرحلة في رأيي تعد المرحلة الثانية (مرحلة الازدهار) بعد مرحلة التأسيس

متطلبات كفاءة سوق الأوراق المالية:

إن السوق الكفؤة هي السوق التي تحقق تخصيصاً كفؤاً للموارد المتاحة، بما يضمن توجيه تلك الموارد إلى المجالات الأكثر ربحية، ولكي يتحقق هذا الهدف ينبغي أن تتوافر فيها سمتان أساسيتان، هما: كفاءة التسعير، وكفاءة التشغيل. وكفاءة التسعير Price Efficiency، أو الكفاءة الخارجية هي سرعة وصول المعلومات الجديدة إلى جميع المتعاملين في السوق - من دون فاصل زمني كبير - وألاّ يتكبدوا في سبيلها تكاليف باهظة، بما يجعل أسعار الأسهم مرآة تعكس جميع المعلومات المتاحة؛ وبذلك يصبح التعامل في السوق تعاملاً عادلاً، فالجميع لديهم الفرصة نفسها لتحقيق الأرباح، إلا أنه يصعب على أحدهم تحقيق أرباح غير عادلة على حساب الآخرين.

أما كفاءة التشغيل Operational Efficiency، أو الكفاءة الداخلية فتعني قدرة السوق على خلق توازن بين العرض والطلب، من دون أن يتكبد المتعاملون فيه تكلفة عالية للسمسرة، ومن دون أن يتاح للتجار والمتخصصين (أي: صناع السوق) فرصة لتحقيق هامش ربح كبير. وكما يبدو، فإن كفاءة التسعير تعتمد إلى حد كبير - على كفاءة التشغيل.

الصيغ المختلفة لكفاءة السوق:

تتمثل الصيغ المختلفة لكفاءة السوق في ثلاث فرضيات، هي:

أولاً: فرضية الصيغة الضعيفة التي تقضي بأن تكون المعلومات التاريخية بشأن ما طرأ من تغيرات في سعر السهم، وعلى حجم التعاملات التي جرت في الماضي منعكسة على الأسعار الحالية، وبذلك لا يمكن الاستفادة منها للتنبؤ بالتغيرات المستقبلية في الأسعار؛ وهذا يعني أن أي محاولة للتنبؤ بما يكون عليه سعر السهم في المستقبل، من خلال دراسة التغيرات التي طرأت في الماضي، هي مسألة عديمة الجدوى.

ثانياً: فرضية الصيغة المتوسطة (الكفاءة شبه القوية)، التي تقضي بأن الأسعار الحالية للأسهم لا تعكس كذلك جميع المعلومات المعروفة والمتاحة للجمهور، أو التوقعات التي تقوم على تلك المعلومات (الظروف الاقتصادية، ظروف الصناعة أو المنشأة، التقارير المالية، وغيرها). وإذا كانت أسعار الأسهم

تعكس تلك المعلومات، فلن يستطيع أي مستثمر - إذ قام بالتحليل الأساسي لتلك المعلومات - أن يحقق أرباحاً غير عادية على حساب آخرين، إلا إذا حصل على معلومات جديدة غير متاحة لهؤلاء.

وثالثاً: فرضية الصيغة القوية، وهي أن تعكس الأسعار الحالية - بصفة كاملة - كل المعلومات العامة والخاصة، وكل ما يمكن معرفته، وعليه لا يمكن لأي مجموعة من المستثمرين استخدام معلومات تسمح لها بالحصول على أرباح غير عادية بصفة نظامية، حتى ولو استعانت بخبرة أفضل مستشاري الاستثمار. (خضر، ٢٠٠٤م)، و (Fama، ١٩٩١).

هنا أيضاً نجد أن هناك تمييزاً واضحاً بين المتعاملين في سوق الأسهم السعودية حيث تكون الأفضلية والتميز لمصلحة كبار المستثمرين والمضاربين، بينما يتم تجاهل صغار المستثمرين من قبل كثير من البنوك، أو تأخير إنجاز طلباتهم، وذلك حسب إفادة بعض المستثمرين.

ووفقاً لما سبق آنفاً، وإشارة إلى دراسات علمية سابقة في هذا الشأن مثل السعيد ١٩٩٧م، والفراج عام ٢٠٠٤م، والغرفة التجارية الصناعية بالرياض عام ٢٠٠٥م، وآل سلطان عام ٢٠٠٥م. بينت أن سوق الأسهم السعودية يمكن تصنيفها أو وصفها بسوق ذات كفاءة ضعيفة.

وتجدر الإشارة إلى أن فرضية الصيغة القوية قد لا تتحقق على أرض الواقع في كل الأسواق المالية، حتى المتطورة منها، فهي أقرب إلى المثالية منها إلى الواقع، وقد أشار إلى هذه النقطة بعض الاقتصاديين والمحللين الماليين، ومنهم - على سبيل المثال لا الحصر - فاما Fama.

سوق الأوراق المالية (الأسهم) السعودية

نشأته وتطوره

بدأ سوق الأسهم السعودية[١٦] في الظهور في نهاية السبعينيات، عندما تزايد عدد الشركات المساهمة بشكل ملحوظ[١٧]، وقد تزامن ذلك مع قيام الحكومة بدمج شركات الكهرباء الخمس في الشركة الموحدة للكهرباء، وما نتج عن ذلك من توزيع أسهم إضافية من دون مقابل على مساهميها، وقيام الحكومة أيضاً بتحويل ملكية البنوك الأجنبية العاملة في المملكة، إذ تم طرح أسهمها للاكتتاب العام. وقد ساهمت هذه العوامل في زيادة عدد الأسهم المتاحة للتداول بين المواطنين؛ وهذا أدى إلى تبادل تلك الأسهم فيما بعد. كما نشأ في تلك الفترة سوق غير رسمية للأسهم لدى مكاتب غير مرخصة، قامت بممارسة نشاط الوساطة في بيع الأسهم وشرائها، ولقيامها على أسس غير سليمة، وظهور بعض الممارسات غير القانونية، منها نشر أسعار غير واقعية للأسهم، فقد صدر في وقت لاحق المرسوم الملكي رقم ٨/١٢٣٠ في ١٤٠٣/١/١٧هـ لتنظيم تداول الأسهم عن طريق البنوك التجارية بداية من ١٤٠٥/٣/١هـ الموافق ٢٣ نوفمبر عام ١٩٨٤م. إذ تم إنشاء الشركة السعودية لتسجيل الأسهم SSRE في ١٤٠٥/٥/٢٨هـ، تحت إشراف مؤسسة النقد العربي السعودي، وتتولى هذه الشركة إدارة سجلات مساهمي معظم الشركات المساهمة (تمثل أسهمها المتداولة ٨٠٪ من إجمالي حجم التداول في السوق)، وتقوم أيضاً بجميع العمليات المساندة للتسويات، ونقل الملكية للمعاملات وتسجيلها، وتحويل الشهادات الخاصة بأسهم الشركات إلى إشعارات، وغيرها. وكان ذلك بداية مرحلة جديدة نحو وضع يحكمه تنظيم محدد، لعملية تداول الأسهم، وهي تنظيم عملية تداول الأسهم، الذي استمر به العمل إلى اليوم.

أهداف السوق:

حددت القواعد المنظمة لتداول السهم أهداف السوق فيما يأتي:

- العمل على تطوير عملية تداول الأسهم على نحو يخدم خطط التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية، بما في ذلك استخدام أحدث الأنظمة التقنية المستخدمة في أسواق المال العالمية.
- تنمية الوعي لدى كل من المدخرين والمستثمرين، بما يكفل توجيه المدخرات الوطنية إلى القطاعات الاقتصادية المنتجة.
- توفير المعلومات المالية عن الشركات المساهمة المتداولة أسهمها لجميع المستثمرين.
- توفير إحصائيات تداول الأسهم، بما فيها الأسعار اليومية لأي جهة تستفيد منها.
- تطوير أساليب التداول بما يكفل توفير السيولة، وحماية مصالح المستثمرين.
- توفير التمويل الطويل الأجل للشركات القائمة أو الحديثة.

الإطار التشريعي والمؤسسي للسوق

الإطار التشريعي:

يتضمن الإطار التشريعي الذي يحكم تداول الأسهم في سوق الأسهم السعودي، بشكل رئيس، نظام الشركات السعودي، والقواعد التنفيذية لتنظيم عملية تداول أسهم الشركات عن طريق البنوك المحلية، إضافة إلى تعليمات مكننة عمليات شراء الأسهم وبيعها، عن طريق النظام الآلي لتداول الأسهم (Esis).

الإطار المؤسسي:

يتضمن الإطار المؤسسي الذي يحكم تداول الأسهم في سوق الأسهم السعودية ثلاث جهات، هي:

- اللجنة الوزارية المشكلة من: وزير التجارة، ووزير المالية، ومحافظ مؤسسة النقد العربي السعودي.
- لجنة الإشراف الدائمة، وهي مكونة من مندوبين من كل من: وزارة التجارة، ووزارة المالية، ومؤسسة النقد العربي السعودي.
- إدارة الرقابة على الأسهم في مؤسسة النقد العربي السعودي، ومهمتها التحقق من تنفيذ القواعد التنظيمية لعملية التداول، والإشراف اليومي على جميع عمليات تداول الأسهم [١٨].

السوق السعودي لا يزال بحاجة إلى تفعيل الأنظمة القائمة، واستصدار أنظمة حديثة تشريعية وتنظيمية ورقابية، من شأنها الحد من التجاوزات التي تحدث بين وقت وآخر

شروط الإدراج ومتطلباته:

يتم إدراج أسهم الشركات المساهمة السعودية في سوق الأسهم إذا تحققت الشروط الآتية:

- أن تكون شركة مساهمة عامة، وأسهمها قابلة للتداول طبقاً لنظام الشركات السعودي.
- لا يجوز تداول الأسهم النقدية التي يكتتب بها المؤسسون، أو الأسهم العينية، أو حصص التأسيس في السوق قبل نشر قائمتي الدخل، والمركز المالي، عن سنتين ماليتين كاملتين مدة كل منهما ١٢ شهراً من تأسيس الشركة، أو من تاريخ قرار تحويلها إلى شركة مساهمة.
- أن تقدم الشركة طلباً للإدراج مرفقاً به نسخة من النظام الأساسي، وقائمة بأعضاء مجلس إداراتها، ونموذج لشهادة ملكية أسهمها.

النظام الآلي لمعلومات الأسهم السعودية

«النظام الآلي لمعلومات الأسهم السعودية (Esis) هو: نظام إلكتروني متكامل للتداول والتسويات والمعلومات، ولا يعتمد على قاعدة التداول التقليدية Floorless، حيث ترتبط وحدات التداول المركزية بالبنوك (الوسطاء) بمؤسسة النقد عن طريق

حاسب آلي مركزي».
ويقوم هذا النظام الآلي بتوفير معلومات آنية عن أسعار الصفقات المنفذة وأحجامها، إضافة إلى معلومات عن الشركات المساهمة المتداولة أسهمها في السوق، وبواسطة هذا النظام تم تركيز جميع عمليات تداول الأسهم في سوق مركزي واحد. ويعد سوق الأسهم السعودية أول سوق إلكترونية للأسهم في المنطقة، تتم جميع عملياتها بطريقة آلية، ومن مزايا النظام الآلي Fsis توفير معلومات آنية عن أسعار العروض والطلبات المنفذة وكمياتها من خلال شاشات العرض الموجودة في أكثر من ٤٠٠ فرع من فروع البنوك المحلية، وبعض فروعها في الخارج، إضافة إلى توفير معلومات عن الشركات من خلال شاشات مخصصة لذلك. ويوفر النظام العدالة والمساواة في التعامل لجميع المتعاملين في السوق. وقد بدئ العمل بالنظام الآلي لمعلومات الأسهم السعودي ESIS مع بداية النصف الثاني من عام ١٩٩٠م، وبشكل تدريجي، إذ تم تطوير النظام محلياً من قبل مؤسسة النقد العربي السعودي SAMA بدءاً من مكننة عمليات التسويات، ونقل الملكية كمرحلة أولى، يلي ذلك تطوير التداول الإلكتروني في عام ١٩٩٠م.

نظام تداول

في عام ٢٠٠١م قامت مؤسسة النقد العربي السعودي SAMA بتطبيق نظام جديد يدعى نظام (تداول) Tadawul، والهدف منه إتمام صفقات البيع والشراء، وتحصيل قيمة الأسهم المتداولة من خلال حلقة قصيرة المدى، ويقوم هذا النظام على أساس السوق المستمرة، التي تحركها أوامر البيع والشراء، ويقدم بيانات آنية عن الأسعار والكميات المتداولة، ومعلومات عن الشركات ومن أهم مزايا هذا النظام أنه يتيح التسوية السريعة والدقيقة للصفقات، وفي يوم تنفيذها نفسه. كما يتصف بالمرونة من حيث بقاء الأوامر في السوق حسب تاريخ الصلاحية. والشفافية من خلال الإعلان الفوري عن أسعار السوق، وإعلانات الشركات للبنوك والمستثمرين في السوق. وقد تعرض (ولا يزال) نظام تداول في الآونة الأخيرة لنقد حاد من المتعاملين في السوق؛ بسبب الأعطال والأخطاء المتكررة للنظام، وهذا ما تسبب في إلحاق بعض الخسائر بعدد من المتعاملين. كما طالب كثير من المتعاملين والمهتمين بسوق الأسهم من محللين ماليين واقتصاديين وباحثين بتطوير النظام أو استبدال نظام أحدث منه تقنياً به، كما هو الحال في أسواق الدول المتقدمة [19].

نظام السوق المالية

صدر نظام السوق المالية بموجب المرسوم الملكي رقم م/٣٠ وتاريخ ٢/٦/١٤٢٤هـ الموافق ١٧ يونيو عام ٢٠٠٣م، والمبني على قرار مجلس الوزراء رقم ٩١ وتاريخ ١٦/٤/١٤٢٤هـ، والمتضمن الموافقة على مشروع نظام السوق المالية في المملكة، ونص «نظام السوق المالية» على إنشاء السوق المالية السعودية كشركة مساهمة، وهي الجهة الوحيدة المصرح لها بمزاولة العمل في تداول الأوراق المالية في المملكة، وحتى يتم إنشاء السوق المالية، فإن تداول الأوراق المالية في المملكة يتم عبر النظام الحالي لتداول الأسهم السعودية «تداول».

كما نص القرار على ممارسة مجلس هيئة السوق المالية جميع الصلاحيات إلى أن يتم تكوين مجلس إدارة السوق المالية: تمهيداً لتحول جميع الحقوق والالتزامات والموجودات والسجلات والأموال المنقولة وغير المنقولة إلى الخاصة بالنظام الآلي لتداول الأسهم المحلية، والشركة السعودية لتسجيل الأسهم إلى هيئة السوق المالية.

هيئة السوق المالية

«تأسست هيئة السوق المالية Capital Market Authority بموجب نظام السوق المالية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٣٠ وتاريخ ١٤٢٤/٦/٢هـ، كما ذكرنا آنفاً، وهي هيئة حكومية ذات استقلال مالي وإداري، وترتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء، وتتولى الهيئة الإشراف على تنظيم السوق المالية وتطويرها، وإصدار اللوائح والقواعد والتعليمات اللازمة لتطبيق أحكام نظام السوق المالية بهدف توفير المناخ الملائم للاستثمار في السوق، وزيادة الثقة به، والتأكد من الإفصاح الملائم والشفافية للشركات المساهمة المدرجة في السوق، وحماية المستثمرين والمتعاملين بالأوراق المالية.

صلاحيات الهيئة

تتمتع الهيئة بالصلاحيات الآتية:

- تنظيم السوق المالية وتطويرها، وتنمية أساليب الأجهزة والجهات العاملة في تداول الأوراق المالية وتطويرها.
- حماية المستثمرين من الممارسات غير العادلة، وغير السليمة، التي تنطوي على احتيال أو خداع، أو غش، أو تلاعب، أو التداول بناء على معلومات داخلية.
- العمل على تحقيق العدالة، والكفاءة والشفافية في معاملات الأوراق المالية.
- تطوير الضوابط التي تحد من المخاطر المرتبطة بتعاملات الأوراق المالية.
- تطوير إصدار الأوراق المالية وتداولها ومراقبته وتنظيمه.
- تنظيم أنشطة الجهات الخاضعة لإشراف هيئة السوق المالية ومراقبتها.
- تنظيم الإفصاح عن المعلومات المتعلقة بالأوراق المالية والجهات المصدر لها ومراقبته»[٢٠].

وقد وجهت عدة انتقادات لهيئة سوق المال، على الرغم من حداثة نشأتها، منها: التسرع في اتخاذ القرارات، والتشهير بالشركات، وليس بالأشخاص المضاربين (المخالفين)، وعدم الشفافية، والأسلوب السلطوي أو التصادمي مع كبار المضاربين الذين لهم تأثير في مجريات السوق، والبطء الشديد في إصدار التصاريح لمكاتب الوساطة المالية، وتأخير إدراج الشركات المساهمة في السوق التي تعتزم طرح أسهمها أو جزء منها للاكتتاب العام، أو عرقلتها، ومن الانتقادات أيضاً انخفاض نسبة الاكتتاب التي تطرح للجمهور؛ لكونها في أغلب الأحوال لا تتجاوز ٣٠٪، بل تجاوز الأمر ذلك في انتقاد أعضاء مجلس الهيئة، والطعن في كفاءتهم، وتعرضهم لنقد شديد وهجوم وقاس، وخصوصاً رئيس الهيئة السابق، والمتحدث الرسمي لها لعدم تدخلها في

السوق عند هبوط المؤشر، علماً أن الهيئة تعمل وفقاً لنظام سوق المال، الذي لا يسمح بالتدخل في آلية السوق، أو في توجيه قوى العرض والطلب المحددة لأسعار الشركات المتداولة، ونتيجة لتزايد الضغوط الشعبية الشديدة على مجلس إدارة الهيئة أدى ذلك إلى فقدان الثقة بالسوق وإدارته، أي: إن العامل النفسي أصبح يؤثر في المتعاملين بالسوق، وهذا ما انعكس سلباً على السوق بشكل عام، علماً أنه في٢٠٠٦/٥/١١م أصدر خادم الحرمين الشريفين مرسوماً ملكياً بإعفاء رئيس الهيئة السابق، وتكليف التويجري رئيساً جديداً لإدارة مجلسها، وقد قوبل هذا القرار بترحيب كبير من المتعاملين في سوق الأوراق المالية، انعكس - بشكل سريع - على السوق في الجلسة الثانية لإصدار القرار، فارتفع المؤشر بمعدل ١٠٠٠ نقطة تقريباً ليتجاوز الـ ١١٠٠٠ نقطة[٢١].

المؤشر العام لأسعار الأسهم المحلية

الهدف من مؤشر سوق الأوراق المالية (تاسي Tasi)[٢٢]

هو قياس مستوى الأسعار في السوق، ويقوم مؤشر الأسهم بدور كبير في تقويم أداء السوق، إذ يعبر عن اتجاه السوق، لذلك تفيد مؤشرات سوق الأسهم في الاسترشاد بها، لاتخاذ القرار الاستثماري وتوقيتها، وتساعد الباحثين على التنبؤ الاقتصادي لوجود علاقة طردية بين مؤشرات أسعار الأسهم والدورات الاقتصادية. كما تساعد المستثمر العادي على قياس المحافظ الاستثمارية المختلفة ومقارنتها ومعرفة فعالية السوق.

يقوم المركز الوطني للمعلومات المالية والاقتصادية

نجد أن للأفراد (كبار المضاربين) تأثيراً في سوق الأسهم السعودي، في توجيه الاستثمار أو المضاربة لأسهم شركات معينة. وهذا من المعضلات التي تواجه السوق والهيئة معاً

الصعود عبر الأسهم هدف وطموح



التابع لوزارة المالية بإعداد هذا المؤشر، وهو مؤشر أسبوعي يتخذ من ٢٨ فبراير عام ١٩٨٥م الموافق ٩ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥هـ فترة أساس = ١٠٠٠، وقد تم وضع المؤشر بناء على الوسط المرجح، الوسط المرجح لأسعار أسهم الشركات، وقد بدأ المؤشر بـ ٣٣ شركة، أما الآن فإنه يضم ٨٣ شركة مساهمة، يتم تداول أسهمها وإعلان أسعارها من خلال نظام تداول Tadawul. كما يتم وضع هيكل مؤشر المركز الوطني لأسعار الأسهم المحلية طبقاً للمعادلة المستخدمة في المؤشر الأمريكي المعروف ستاندرد وبورز ٥٠٠ الصناعي (Standard & Poors ٥٠٠)، إذ يتم ترجيح المؤشر بواسطة الرسملة السوقية للشركات ذات الأسهم المتداولة في السوق.

ويعد المؤشر العام لأسعار الأسهم المحلية باستخدام الصيغة الرياضية الآتية:(Saudi Index In) = حيث إن:

In: نقاط المؤشر لليوم الحالي.

$P_{1.n}$: سعر سهم الشركة في اليوم الحالي.

Q_{1n}: عدد الأسهم المصدرة للشركة في اليوم الحالي.

$P_{1.n-1}$: سعر سهم الشركة في اليوم السابق .

I_{n-1}: نقاط المؤشر لليوم السابق.

N: نهاية اليوم الحالي.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصيغة الرياضية مرنة، أي: إنها تسمح للمؤشر بالتكيف في الحالات الآتية:

- دخول إحدى الشركات من السوق أو خروجها.
- إصدار أسهم مجانية.
- توزيع أرباح على صورة أسهم.
- تخصيص الأسهم المجانية، حقوق الإصدار، زيادة رأس المال.
- طلب دفعة من رأس المال المدفوع جزئياً.
- الدمج والشراء.

إلا أن المؤشر أيضاً تعرض للنقد من قبل بعض الباحثين والمحللين الماليين والاقتصاديين، والمهتمين بسوق الأسهم من مستثمرين، وغيرهم؛ بسبب اعتماده بشكل كبير على بعض الشركات (الشركات القيادية، أو شركات العوائد)، مثل: شركة سابك، والاتصالات، والكهرباء، والراجحي؛ وذلك لكبر حجمها، أو لارتفاع أسعار أسهمها، أو للأمرين معاً. وهذا ما كان له كبير الأثر في المؤشر نفسه، كما تم انتقاده من حيث إنه يعتمد على قياس جميع الأسهم المصدرة، ولا يقتصر على الأسهم المطروحة للتداول فقط. ومن الاقتراحات التي طرحت في هذا الشأن أن يستبدل المؤشر بمؤشر الأسهم المتداولة فقط، كما اقترح أن يكون هناك مؤشرات فرعية لكل قطاع من القطاعات الاقتصادية. ومما يدعم ذلك دراسة علمية أوصت بإعادة النظر في طريقة حساب المؤشر بشكل يأخذ في حسبانه حجم التداول للشركات الكبيرة مع استبعاد الشركات ذات العائد، وكذلك الشركات التي صورتها دون المستوى المتعارف عليه لدى المحللين الماليين؛ لأنه لا يعبر عن حركة السوق الفعلية[٢٤].

خصائص سوق الأسهم السعودية

على الرغم من أن سوق الأسهم السعودية تعدّ أول سوق إلكترونية في منطقة الشرق الأوسط، وكبرى الأسواق العربية من حيث القيمة الرأسمالية لأسهم الشركات المدرجة في الأسواق المالية في العالم العربي (إذ تجاوز إجمالي القيمة الرأسمالية لسوق الأسهم أكثر من ٥٠٠ بليون ريال سعودي). كما بلغت القيمة السوقية للأسهم السعودية ٢,١١ تريليون ريال (٥٦٢,٨٤ بليون دولار)[٢٥].

إلا أنها تتسم ببعض السمات، يصنفها بعضهم (بالفريدة)، التي يمكن إيجاز أهمها فيما يأتي:

- حداثة النشأة: تعد سوق الأسهم السعودية من الأسواق الحديثة النشأة، أو من الأسواق الناشئة من حيث الاهتمام والتنظيم، فالاستثمار في الأسهم لم يصبح استثماراً جذاباً ومعروفاً بشكل عام إلا بعد حدوث طفرة البترول الأولى عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، وسعودة البنوك التجارية في المملكة بداية الثمانينيات من القرن العشرين. بينما وجدت الأسواق المالية (البورصات) العالمية في أوربا وأمريكا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.
- ضعف حجم التداول.
- صغر حجم السوق (ضيق السوق) نسبياً.

إذ إن عدد الشركات صغير - مقارنة بمتوسط عدد الشركات المدرجة في أسواق الدول النامية - إذ لا تجاوز نسبتها (٤٠٪). ومن المآخذ القوية على السوق صغر حجمها مع أن اقتصاد المملكة اقتصاد قوي وكبير مقارنة باقتصاديات أخرى مجاورة، ومع ذلك فإن عدد الشركات المدرجة في أسواق هذه الدول يفوقها بأضعاف.

- حساسية السوق. وتعود هذه الحساسية إلى ضيق السوق، ولارتباط السوق السعودية للأسهم بالأحداث الاقتصادية العالمية، مثل: أثر ارتفاع (انخفاض) أسعار الفائدة في الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الأوربية في الاقتصاد السعودي.

- غياب صانعي السوق الرسميين: لا يوجد في سوق الأسهم السعودية من يطلق عليهم صانعو السوق، ويتم التداول عن طريق وحدات التداول في البنوك التجارية المختلفة، ولعدم وجود صناع سوق رسميين بالسوق السعودية؛ مما أثر في السوق بشكل سلبي وكبير، كما أنه أدى إلى ظهور صانعي سوق غير رسميين يمتهنون علميات المضاربة بشكل كبير. وهذا ما أدى إلى حدوث تصحيحات حادة ومؤلمة (انهيارات كما يراها بعضهم) كما حدث في نهاية فبراير ومارس ومايو عام ٢٠٠٦م، لأن علاقتهم بهيئة سوق المال تتصف بالندية أحياناً، والتكتل والتحايل على الأنظمة أحياناً أخرى، كرد على أساليب الهيئة السلبية من وجهة نظرهم في اتخاذ القرارات، أو معالجة المشكلات.

وفي إحصائيات حديثة اتضح أن أثر القرارات السلبية في السوق يكون أكبر من أثر القرارات الإيجابية. كما نلاحظ عودة مصطلح اليد الخفية التي أشار إليها آدم سميث، والكلاسيك في القرن الثامن عشر ودورها في الاقتصاد، إلا أنها هذه المرة تعود إلى السوق السعودية للأسهم، ولكن بمفهوم سلبي. علماً أن قيمة المؤشر وصلت إلى ٢٠٦٤٣ نقطة في الأسبوع الثالث من فبراير قبل بداية مشوار التصحيح الحاد، الذي بدأ من الخامس والعشرين من فبراير، واستمر قرابة الشهر، ليتجاوب مؤقتاً مع القرارات التي صدرت من خادم الحرمين الشريفين، والأخرى التي صدرت من هيئة سوق المال (تراجع عن قرارات سابقة) في أن المؤشر عاد إلى الهبوط مرة أخرى، واستمر في التذبذب بعد ذلك مدة في حدود عشرة آلاف نقطة، ثم عاود الهبوط إلى أن قارب سبعة آلاف نقطة بعد تغيير موعد فترة التداول، وبدأ يتذبذب مرة أخرى في مدى سبعة آلاف نقطة - ثمانية آلاف، ولا يزال إلى هذا اليوم في حدود هذا المدى.

- عدم شفافية المعلومات أو افتقاد السوق الشفافية. على الرغم من قيام هيئة السوق المالية بإصدار قرارات من شأنها معاقبة بعض الشركات والأفراد، من الذين لا يلتزمون معياري الشفافية والإفصاح،

هناك دعم قوي من حكومة المملكة للقطاع المالي يتمثل في موافقة مجلس الوزراء على تعميق السوق الثانوية للأوراق المالية بإنشاء سوق ثانوية للسندات الحكومية

إلا أن الهيئة هوجمت بشكل حاد في هذا الشأن، بل تجاوز الأمر ذلك إلى انتقاد الهيئة نفسها بعدم الشفافية (فاقد الشيء لا يعطيه).

- مكان السوق وطريقة التعامل.

- اقتصار التعامل في السوق على الأسهم فقط.

- يسيطر أسلوب المضاربات على التعاملات في السوق، وهذا ما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار بشكل غير منطقي، وغير مسوغ، ولا يتمشى مع المراكز المالية للشركات، وخصوصاً حديثة النشأة، أو تلك التي لم تطرح أسهمها للتداول بعد. كما أنه يلحق صغار المستثمرين خسائر فادحة نتيجة لقيام كبار المضاربين بتداولات غير واقعية (وهمية) تعتمد على نقل الإشاعات الكاذبة وترويجها، أو القيام بأوامر بيع أو شراء وهمية لكميات كبيرة قبل افتتاح السوق، وهذا يضلل بعض المستثمرين، وخصوصاً صغارهم وحديثي العهد بالتعامل في السوق. كما أن عملية ارتفاع المؤشر أو تغيير اتجاهه قبل ٥ دقائق من الإغلاق لا تزال مثار تساؤل كبير لدى المتعاملين في السوق.

- موسمية التعامل، إذ إن التعامل في سوق الأسهم السعودية لا يسير على الوتيرة نفسها، أو المستوى نفسه طوال أيام السنة، بل تبرز فترات يرتفع خلالها التعامل، خصوصاً عندما تنتهي بالسنة المالية للشركات المساهمة، وتقوم بتوزيع الأرباح، وعندما ترتفع أسعار منتجات بعض

الشركات. وتأتي أوقات ينكمش فيها التداول إلى أدنى حدوده، مثل: الإجازة الصيفية، وإجازة نهاية الأسبوع.

- وجود وسطاء غير متخصصين، وغير مرخص لهم، مثل: مكاتب العقار والأسهم، وغيرها.

- افتقار السوق لصناعة التحليل المالي، وبيوت الخبرة المتخصصة لتقديم الاستشارات والتحاليل المالية في مجال الاستثمار. وقد يعود ذلك إلى حداثة السوق نسبياً، وإلى حداثة الأنظمة التي تنظم سوق الأوراق المالية، إذ لم يتجاوز عمر الهيئة أربع سنوات بعد. كما أن الأولويات التي تراها الهيئة في أعمالها أدت إلى بطء في الترخيص للمحللين الماليين المعتمدين، وبيوت الخبرة.

- صعوبة الشروط وتعقيدها، التي يجب توافرها في الشركات التي تريد دخول السوق كشركات مساهمة.

- تملك الحكومة، أو قليل من المستثمرين أسهماً كثيرة في بعض القطاعات، وهذا أدى إلى أن ما يتاح للتداول لا يمثل سوى نسبة بسيطة (نحو النصف)، وقد أثير هذا الانتقاد مراراً من قبل متخصصين ومستثمرين في السوق.

- تقوم البنوك التجارية في المملكة بمهام متعددة، وهذا يجعلها عرضة للنقد لتعارض الأهداف أحياناً مثل التسهيلات الائتمانية،

وتنفيذ عمليات أوامر البيع والشراء في الأسهم (الوساطة المالية)، والاستثمار والمضاربة من خلال صناديق الاستثمار، واعتقد أنه قد حان الوقت لإعفاء البنوك من المهام الأخرى، التي لا تدخل ضمن مهامها الرئيسة، أي: إعفائها من كل المهام التي تتعلق بسوق الأوراق المالية،، وقصر ذلك على صناع السوق والبورصة.

من ضمن الانتقادات التي وجهت للمصارف تحقيقها أرباحاً طائلة، في الوقت الذي يعاني سوق الأسهم تصحيحات حادة ومؤلمة، وهذا ما انعكس سلباً على المستثمرين المباشرين في السوق، وبشكل أكبر على المستثمرين عن طريق الصناديق التي تدار من قبل البنوك، فكيف تحقق البنوك أرباحاً كبيرة، والصناديق تخسر؟ وهي تدار بأيد حرفية ومهنية، كما تروج لذلك البنوك، أو كما توصي بذلك هيئة سوق المال والمحللون الماليون.

الهوامش

١- محمد صالح الراجحي، دليل المستثمر في سوق الأسهم السعودية، مكتبة الشقري، عام ١٩٩٨م، ص ١٩. تجدر الإشارة إلى أن التداول في سوق الأسهم السعودية يتم على فترتين صباحية ومسائية، وقد انتقدت السوق على هذا الأساس لما لذلك من انعكاسات سلبية على السوق، وعلى الاقتصاد الوطني بشكل عام، فعلى مستوى السوق يكون الانعكاس السلبي متمثلاً في عدم توافر المعلومات لجميع المتعاملين في اللحظة نفسها (الوقتية)، أما على الاقتصاد الوطني فيكون الانعكاس السلبي ظاهراً في انخفاض الإنتاجية بسبب خروج الموظفين والموظفات والمدرسين والمدرسات والطلاب والطالبات من مواقع العمل أو الدراسة لمتابعة أداء السوق والاستثمار أو المضاربة، وقد أشار إلى ذلك كثير من الكتاب الصحفيين والباحثين والمهتمين والمسؤولين. انظر - على سبيل المثال - عدد المدينة الصادر يوم ٤ صفر سنة ١٤٢٧هـ، وعدد الحياة رقم ١٥٧٤٦ في ١٥ مايو عام ٢٠٠٦م. ومقالاً للكاتب نشر في صحيفة اليوم، العدد ١١٩٨٣ في ٦ أبريل عام ٢٠٠٦م. علماً أنه تم تعديل فترة التداول إلى فترة واحدة تبدأ الساعة ١١ صباحاً، وتنتهي الساعة ١٥,٣٠ مساء ابتداءً من ٦ شوال سنة ١٤٢٧هـ بناء على قرار أصدرته هيئة السوق المالية، وتبعاً لذلك تم تغيير مواعيد العمل بالبنوك لتكون فترة واحدة أيضاً تبدأ عند الساعة ٩,٣٠ صباحاً، وتنهي عند الساعة ١٦,٣٠ مساء ابتداءً من ١٥ ذي القعدة سنة ١٤٢٧هـ. ومع ذلك لم يلق القرار الذي أصدرته هيئة سوق المال الترحيب من قبل فئة كبيرة من المجتمع، وخصوصاً الموظفين والموظفات والطلاب والطالبات لعدم تمكنهم من اللحاق بالسوق والاستثمار أو المضاربة فيه، حتى بعض رجال الأعمال؛ وذلك لتأخر وقت افتتاح السوق، ولتعارضه مع مواقيت الصلاة (الظهر، والعصر، في بعض الفصول من السنة). لكن في المقابل وَجَدَ ترحيباً من قبل بعض المسؤولين ومتخذي القرار الاقتصادي في المملكة، وبعض رجال الأعمال.

٢- للمزيد حول معايير اختيار الشركات في الأسواق النشيطة انظر: مجلة سوق الأسهم السعودية (تداول)، العدد ١٦، عام ٢٠٠٦م، ص ١٦.

٣- اشتقت كلمة بورصة من اسم الفندق الذي يجتمع فيه عدد من التجار لمناقشة الصفقات التجارية في مدينة براج البلجيكية، والمنسوب إلى صاحبه (فان دي بورص) في القرن السادس عشر، وكان شعار هذا المكان صورة تحمل ثلاثة أكياس نقود.

٤- حسين عبدالمطلب الأسرج، تحليل أداء البورصات العربية من عام ١٩٩٤م - عام ٢٠٠٣م، مع دراسة خاصة للبورصة المصرية، سلسلة بنك الكويت الصناعي، العدد ٧٩، ديسمبر عام ٢٠٠٤م، وللمعلومية لا توجد في المملكة العربية السعودية سوق أوراق مالية غير منظمة.

٥- مرجع سابق.

٦- منير إبراهيم هندي، الأورق المالية وأسواق رأس المال، عام ١٩٩٧م، ص ٧-٣٩، وحسان خضر، المعهد العربي للتخطيط يناير عام ٢٠٠٤م. www.arab.api.org

٧- صحيفة الحياة، العدد ١٥٥٣٤، الأربعاء ٩ رمضان سنة ١٤٢٦هـ/ ١٢ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠٥م، ص ١٩.

٨- حسين الأسرج، مرجع سابق، ص ٢٠- ٢٢.

٩- سيد شوربجي عبدالمولى، الأزمة المالية الآسيوية والدروس المستفادة منها في تطوير أسواق المال الخليجية، مجلة التعاون، العدد ٤٩، عام ١٩٩٩م، ص ٧١.

١٠- http://www. arab-api.org.

١١- أعدت هيئة السوق المالية مشروعاً أولياً للائحة حوكمة الشركات، ونشر على موقع الهيئة في ٢٠٠٦/٦/٧م، لاستطلاع الآراء بشأنه قبل إقراره.

١٢- قامت هيئة السوق المالية بخفض السيولة بنسبة ٢٠٪ مؤخراً من ١,٥ في ألف من قيمة الصفقة المنفذة.

١٣- الموقع الإلكتروني السابق، وتجدر الإشارة إلى أن هناك نقصاً في البيانات وعدم توافرها أو اكتمالها لبعض متغيرات السلسلة الزمنية. كما أن عدم توافق البيانات يعد عاملاً آخر، فهناك بيانات يومية وأخرى أسبوعية أو شهرية وأخرى سنوية فقط، وهذا يعدّ إنجازاً على الدراسات القياسية، التي تحتوي على منهج من هذه المتغيرات، لذا أرى أن توافر البيانات والمعلومات عن سوق المال بشكل عام، وسوق الأوراق المالية بشكل خاص، يعدّ من أولويات هيئة سوق المال؛ لأنها من الأهمية في دراسة السوق من كل جوانبه؛ بهدف تطويره، والحدّ من بعض السلبيات التي تعيق نموه وتطوره، كما أقترح أن يكون هناك مركز للبيانات والمعلومات، التي تتعلق بسوق المال في المملكة منذ وجوده حتى الوقت الراهن، يكون تحت إشراف الهيئة، ويفضل أن يكون هناك مركز للبحوث المالية والاقتصادية، التي تتعلق بالسوق لبحث أي مشكلة تعتري السوق ودراستها، وكذلك دراسة

- ارتفاع نسبة الاستثمارات الفردية في السوق مقابل انخفاض واضح وكبير في الاستثمار المؤسساتي. أي: الاستثمار الذي يتكون من محافظ جماعية، مثل: صناديق الاستثمار المشتركة، ونحوها، إذ لم يتجاوز حجم صناديق الاستثمار ٤٪ في حين حظيت الاستثمارات الفردية بـ ٩٦٪.

- عدم وجود صحف ومجلات متخصصة لنشر بيانات ومعلومات بطريقة دورية يومية وأسبوعية، ونحو ذلك عن سوق الأوراق المالية، والشركات المساهمة، وشركات الوساطة المالية، وكل ما يتعلق بالسوق والاستثمار من بيانات ومعلومات، وقرارات، وأخبار ضرورية ومؤثرة في السوق، على غرار وول ستريت، وبارون، وصحيفة يوميات المستثمر في الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها.

الاقتراحات المتعلقة بالسوق في أسرع وقت، لإيجاد التدابير اللازمة، التي من شأنها أن تعالج هذه المشكلات أو التصحيحات أو الانهيارات الحادة بطريقة علمية من قبل خبراء واستشاريين متخصصين في العلوم الإدارية والمالية والاقتصادية والكمية والقياسية.

١٤- مجلة المجلة، العدد١٣٧٠، ١٦-٢٢ ربيع الآخر سنة ١٤٢٧هـ.

١٥- حسان خضر، تحليل الأسواق المالية، سلسلة جسر التنمية، ع ٢٧، عام ٢٠٠٤م، ص ١-١٦، www. arab- api.org.

١٦- انظر - على سبيل المثال - صندوق النقد العربي، قاعدة بيانات الأسواق المالية العربية. الأسواق المالية العربية المشاركة في القاعدة - نشأتها وتطورها - عدد خاص أبريل عام ١٩٩٧م. ص ٣١- ٣٨، وزايد فهد الحصان، محددات ومعوقات الاستثمار في سوق الأسهم السعودية: دراسة ميدانية في منطقة القصيم. مجلة البحوث التجارية، جامعة الزقازيق، م ٢٤، ع١، عام ٢٠٠٢م، ص ٩١ - ١٣١. وفراج عبدالعزيز الفراج، العلاقة بين المؤشر العام لسوق الأسهم المحلية وبعض المتغيرات الاقتصادية الكلية في المملكة العربية السعودية (دراسة تطبيقية) عام ٢٠٠٤م، ص ٨- ٢٦.

١٧- تجدر الإشارة إلى أن أول شركة مساهمة في المملكة العربية السعودية تم تأسيسها في عام ١٩٣٤م، وهي الشركة العربية للسيارات، ثم تتابع بعد ذلك تأسيس الشركات المساهمة لمواكبة احتياجات التنمية الاقتصادية في تلك المرحلة، علماً أن عدد الشركات المساهمة التي تتداول أسهمها حالياً ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، في سوق الأسهم السعودية بلغ ٨٣ شركة.

١٨- انتقلت هذه المهمة إلى هيئة السوق المالية بعد صدور السوق المالية، وإنشاء هيئة سوق المال في ١٤٢٤/٦/٢هـ.

١٩- صرح رئيس هيئة سوق المال الجديد في مايو عام ٢٠٠٦م بأن الهيئة تعتزم تطويراً شاملاً لنظام التداول في وقت قريب، وقد تم بالفعل توقيع اتفاقية لتطوير نظام تداول مع شركة OMX السويدية.. للمزيد انظر صحيفة الحياة، العدد ١٥٧٥٦، ٢٥ مايو عام ٢٠٠٦م.

٢٠- مقتبس من الموقع الرسمي للهيئة على شبكة الإنترنت: www.cma.org.sa.

٢١- مجلة المجلة، العدد ١٣٧١، ٢٣-٢٩ ربيع الآخر سنة ١٤٢٧هـ، ص ٥٧.

٢٢- محمد كبية كبية، استخدام طريقة المركبات الأساسية في تحليل المؤشرات المالية في سوق الأسهم: حالة تطبيقية، سوق الأسهم السعودية، مجلة الإدارة العامة، م٣٨، ع٢، عام ١٩٩٨م، ص ٢٩٧- ٣٢٤. حمد عبدالله الغنام، تحليل السلسلة الزمنية لمؤشر أسعار الأسهم في المملكة العربية السعودية باستخدام منهجية جينكينز Box - Jenkins Method، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الاقتصاد والإدارة، م ١٧، ع٢، ص ٣-٢١، عام ٢٠٠٣م. وفراج عبدالعزيز الفراج، العلاقة بين المؤشر العام لسوق الأسهم المحلية وبعض المتغيرات الاقتصادية الكلية في المملكة العربية السعودية (دراسة تطبيقية)، عام ٢٠٠٤م، ص ١٦.

٢٣- بدأت مؤسسة النقد العربي السعودي بإعداد هذا المؤشر منذ عام ١٩٩٦م.

٢٤- للمزيد انظر دراسة: محمد كبية كبية، مرجع سابق، ص ٣١٨.

٢٥- للمزيد حول خصائص سوق الأسهم السعودية انظر - على سبيل المثال-: زايد الحصان، مرجع سابق. وفراج الفراج، مرجع سابق، وللمزيد حول الإحصائية الأخيرة انظر: صحيفة الحياة، العدد ١٥٥٣٧، السبت ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول عام ٢٠٠٥م الموافق ١٢ رمضان ١٤٢٦هـ.

انظر ايضاً:

- البازعي، حمد سليمان، سوق الأسهم السعودية والسياسة النقدية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٢٦، ع ٢، عام ١٩٩٨م.
- السعيد، حصة إبراهيم تحليل درجة المخاطرة والكفاءة في سوق الأسهم السعودية، عام ١٩٩٧م.
- السعيد، هالة حلمي، دراسة تحليلية لأثر المتغيرات الاقتصادية الكلية على أداء سوق الأوراق المالية في السوق المصرية، سلسلة بنك الكويت الصناعي، العدد ٦٢، ديسمبر عام ٢٠٠٠م.
- آل سلطان، مهدي، تحليل سلوك أسعار الأسهم في السوق السعودي، ورقة عمل قدمت للقاء السنوي الخامس عشر لجمعية الاقتصاد السعودية، ١٢ -١٣ شوال ١٤٢٦هـ، عام ٢٠٠٥م.
- الشراح، رمضان، دور الأسواق المالية في تحقيق التنمية التكاملية لدول مجلس التعاون الخليجي في ظل المتغيرات العالمية، مجلة المال والصناعة، بنك الكويت الصناعي، العدد ١٨، عام ٢٠٠٠م.
- الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، قطاع البحوث ومنتدى الرياض الاقتصادي. استكشاف مدى كفاءة سوق الأسهم المحلية ودوره في دعم الاقتصاد الوطني، رمضان سنة ١٤٢٦هـ.
- Fama. F.1991. Efficicrt Capital Markels II. Journal of Finance.



ابتداعية

مدام ديهامل

عبير أحمد محمد عبدالهادي

نجع حمادي - مصر

«أهلين»

«أوه عربي!»

«أهلين»

«أوه عربي»

أوووه مقدسي!

في محاولة مني لنسخ المشهد الأول، وشجت أحاسيسي كنظيم اللؤلؤ، وفي قلبي برقت نجوم عينيه لتعيد عليّ كلماته آلاف المرات كرنين الضوء، وكأنني أمسكت باللحظة التاريخية لقلبي الغريب، الذي ينظم مشهد الحنين داخله كعقد مكتمل لا تعرف بدايته من نهايته.

وكأن المشهد الفريد أمسى الوحيد في حاضري، واللحظة التاريخية لقلبي الغريب صارت هي عمري كله، وأنا أسير للمرة الكم؟ لا أدري! أسير مع نفسي، من ساحة الأوبرا إلى الشانزليزيه، ودواخلي تحتفر داخلها بهجة فتاي ودهشته - ليلة عيد الكريسماس الماضي، وأنا معه - بواجهة المحلات الباريسية التي تتبارى لخطف أبصار المارة، فأنتشي برحيق ذكرى الصدفة الأولى، وأظن أنني أتابع سيري؛ فأكتشف أنني أمام المحل نفسه الذي أشترى لي منه ذلك البابا نويل العجوز الذي تطل من عينيه كل ليلة بجوار سريري بشارات جديدة تنبئ بعودتي، أو في أسوأ الأحوال عودة الفارس الذي غادر وذاب هناك في صخب المواجهة. ذلك العجوز يشبه عجوزاً أعرفه فليس تماماً إلا من مواقفه الرسمية المعلنة.

وسط المتحف الباريسي الحديث، الكائن في شارع ويلسون عند شارع ماربل بلازا كانت اللحظة التاريخية، انبثق صوته كبرعم نور:

- أهلين.

(أهلين) هي همسة الحرير المتشح بوهج الألفة المفاجئة في منفاي، عندما ثقب الحرير الصمت الفني الصارخ، باشتعال الألوان المتحركة في اللوحة، باغتني دبوسه:

- أوه مقدسي!!!

فضحتُ أسرار فرشاتي، وأفضيتُ إليه أمام كنيسة نوتردام أن اللوحة التي أعرضها هي مجموعة مفردات متناقضة؛ لذا كان عنوانها (مفردات لا يحب أن يراها العالم) وقبل أن أكمل العنوان؛ دقت الأجراس خلفنا كوجيب قلبي الذي كان يسيح بين شعيرات صدره الشقراء، وهي تهرب من قيود قميصه الذي حرره من (الكرافات)؛ رسمتُ الصليب على صدري، ثم رسمته ثانية خشية أن يفر قلبي المهووس بوهج الألفة.

لم يسأل بعضنا بعضاً عن أية تفاصيل حتى (أحمد) و(جالا) رمينا بهما وسط دهشتنا بالمصادفة ومضينا.

مدام (ناتالي ديهامل) هي مالكة غرفتي، التي أعددتها بشكل مزدوج عصري، يمكنها التشكل حسب رغبتي؛ فهي صالون مدهش، أو غرفة نوم مستقلة، أو أتيليه ليس له مثيل في الفوضى الإلهامية غير المحدودة!

عند ملتقى رو ديزيكول، وبولفار سان ميشال، دعوته لشرب كاسة مرمرية(١) بغرفتي، فرأى مدام (ديهامل) أول مرة؛ فسألني:

- كيف استطعت الحصول على غرفة مالكتها سريالية الشكل؟!

- إذن ستكون دهشتك أقل إذا فوجئت بمضمون المرأة العجوز.

والحقيقة أن مدام (ديهامل) استغنت تماماً في تلك الليلة

(الكانونية) عن تذكيري أمام ضيفي بأن (آذار) اقترب: فشكرت لها ذلك في نفسي، ثم قدَّمَت له بعضًا من الكريب المحشو بالفاكهة والكريمة، لم تكتف بذلك بل فاجأتنا بأنها ستحتفل بأحمد على طريقتها، سترقص له رقصة التانجو بمفردها! واندهشت:

- لم تظن بي الجنون مسيو أحمد؟!

ولأننا ندرك تمامًا أن هذا عرض مجنون.. عرضنا عليها أن تعفيها منه، ثم نرقص لها (الدبكة)(٢)، لكنها أصرت أنها عاقلة، وغير ثملة، وستبدأ الاحتفال فورًا، وبالتانجو بالتحديد.

أمام إصرارها لم يبق أمامنا إلا أن نُسخر ذلك الخيال الشاسع الذي تمتلكه رسامة سريالية مثلي، ولاعب كرة مثل (أحمد)؛ للاستمتاع بتانجو مدام (ديهامل).

وبمحاولة رومانتيكية أقنعتني السيدة أن من الضروري أن أصطحب أحمد لزيارة متحف رودان، وثلاثة قصور على الأقل من قصور اللوار، فدعاها أن تكون معنا إلى هناك في الصباح؛ إلا أنها انسحبت بذكاء قادر على أن يفسح الطريق لثنائية المصادفة كي تتوحد.

مع بداية (شباط) أرسل لي رسالة لم تصلني؛ لأن البريد هناك كان مدمرًا تمامًا (إلا أنها وصلتني). كتبها وهو جالس تحت مظلته فوق أطلال بيته الذي ابتلعته آلة الحرب، وحبات المُزن تهوي عليه، فتطفئ المدفأة التي ابتكرها؛ لتمر ليلة مقدسية من ليالي (شباط) السوداء. المدفأة - على حد تعبيره في الرسالة - عبارة عن مجموعة أحجار داخلها شعلة.

وكما ارتأيت بقلبي مدفأته المبتكرة من الظرف، ارتأيته يجلس



وحيدًا من دون أصدقاء، ومن دون أشقاء، فقررت أن أتوحد معه.

جلست أمام مسكني في الليلة السابعة والعشرين من (شباط) من دون مظلة، أو مدفأة. مما دفع بعض المارة أن يرموني ببعض الفرنكات!

كتبت لأحمد وأنا جالسة في موقع التوحد رد الرسالة، وقبل الختام وجدت مدام (ديهامل) تنهال علي بالاعتذارات مذكرة إياي أن (آذار) لم يأت بعد، وابتسمت:

- ولكن إذا أتى صحو (آذار) فعليك حبيبتي بالدفع أو الإخلاء.

ثم رددت أكثر من مرة:

- أنا فخورة يا صغيرتي بقانون فرنسا الرحيم.

- هل سمع الصهاينة عن هذا القانون؟!

- (.. .. .. ..)!

أخبرتها بما يمور في قدسنا؛ فرسمتْ الصليب على صدرها، وقاسمتني ليلتي الجليدية. وفي أثناء اعتصامنا الغرائبي وجدت وسيلة للتسلية، حيث بدأت أقص عليها قصة شجرات الزيتون الثلاث، اللاتي استشهدن خلف دار أحمد في زي الراهبات، ثم قصة لوحة المفردات التي دفنت معهن.

قال لي (أحمد) عبر الهاتف: إنه في أحد أسفاره السالفة للعب مباراة أقيمت على أرض العرب، قابل هناك أناسًا يرقصون التانجو الفردي بإصرار مدام ديهامل نفسه، «لكن الجديد في الرقصة يا (جالا) أن الراقصين يستفيقون فجأة ليكتشفوا علامات السياط على ظهورهم».

فكتبت إليه:

«ثم تستمر الرقصة الجديدة في شيوعها، أم أنها تنقرض بعد ذلك؟» فأجابني، بكلمات فرطت عقدي القديم؛ لأعي أن العجائز اللاتي أعلق عليهن أمنياتي لن تطل من أعينهن بشارات العودة.

(تُراك حبيبي الآن، وأنت تنظم العقد بطريقة مختلفة مثلي، هل ترى معي العالم يشبه غرفتي، أم تراه كرنين الضوء؟! أم ....).

الهوامش

(١) كاسة مرمرية: كوب من مغلي المرمرية.

(٢) الدبكة: رقصة شعبية في بلاد الشام.

قصيدة

قصائد

كمال عبدالرحمن النعيمي

الموصل - العراق

عُزلة

قالَ مديرُ البلديةِ

ليسَ لدينا

أسفلتٌ أو أسمنتْ

فاكتأبتْ طُرقٌ لا حَصْرَ لها

وانعزلتْ رُومًا..!

المقدوني الأخير

ما كانَ الإسكندرُ مجنونًا

أو طاغيةً

أو مفتونًا

لكنّه غنّى

قبل شُروعِ الموسيقا بالعزفْ

ولذلك لم يَفْهَمْهُ أحدْ..!

رؤية

لا تحزنْ

إذ أفقدُ بصري

فدموعي ستراك

عبودية

كان كولمبسُ

أوَّل مَنْ فتح

بواباتٍ

لعبوديةِ هذا العالم..!

دهشة

حينَ بكى

انفجرتْ عُشْرُونَ قصيدة

حينَ ابتسم

مَاتَتْ كلُّ الأشعار..

ضمان

يَكفلُني الأعمى

والأعورْ

والأعشىْ

ولا تكْفُلُني ممالكُ عينيك..

صدق

لم يعرفْ شيئًا

غير الكذبْ

لم ينطقْ إلا كذبًا

لم يضحكْ إلاّ كذبًا

لم يصدقْ إلا..

في مَوْتِه!

عجب

أوْقَفَني السُّرَّاقُ بِلَيلٍ

فلّما لمْ يجدوا

فيَّ غَنيمَتَهُم

سرقوا لَوني.. ومضوا!



فيوضات فارابية

بهيجة مصري إدلبي

حلب - سورية

عانقَ السرَّ في رُؤى الأزمان ... حارَ فيه الهوى مع الألحان

عرفَ القولَ حين أفضى إليه ... بفؤادٍ مُحلِّقٍ ولسانِ

فَطوَى العمرَ في سطور كتاب ... ثمَّ أسرى لعالَمٍ حيرانِ

أيقظَ العقلَ من غياب طويل ... وَسَرَتْ فيه حكمةُ اليونانِ

حين أمسى مُعَلِّماً وحكيماً ... حاملاً حلمَ عالَمٍ إنساني

منطقُ الدهر أنْ يكونَ أرسطو ... أولاً وَهْوَ في المقامِ الثاني

أوجَزَ القولَ في الوجود صلاةً ... تتجلّى بمنطق القرآنِ

وتراءى لهُ الوجودُ وجوباً ... ووجوداً يكونُ بالإمكانِ

فإذا الكونُ وحدةٌ لوجود ... منهُ فاضتْ سعادةُ الإنسانِ

فلسَفَ الكونَ مُذْ تكوَّنَ فينا ... فكأنَّا صحائفُ الأكوانِ

نحن فيضٌ عن الإله فكنَّا ... فيضَ عقلٍ نفيضُ بالوجدانِ

كلُّ شيء لديه فيضٌ لفيضٍ ... حكمةُ العقل في رُؤى البرهانِ

سكنَ الحلمُ فيه كلَّ مجالٍ ... هامَ عشقاً بعالَمٍ رُوحاني

قالَ للعلم أنتَ طوعُ يميني ... أنت معراجُ رحلةِ الإيمانِ

فأبو النصر فاق كلَّ زمانٍ ... عقله الفيضُ فاقَ كلَّ بيانِ

هو في الطب فاق كلَّ طبيبٍ ... عالجَ الروحَ من عمى الأبدانِ

أي لحن سرت إليه الليالي ... بخشوع زهية الألوانِ

عزف الروح في المسافة لحناً ... أبديّاً يفيض بالإحسانِ

فوجدنا إلى الخلود سبيلاً ... إنه السر في مدى العرفانِ

إنه البحرُ إنما دون شطٍ ... بحره الوجد ضاق بالشطآنِ

قال ربي أعوذ من كل جهل ... هبني فيضاً يذوب فيه كياني

هذِّبَ النفس من هيولى وجودي ... وأعذني من ربقة الأحزانِ

واعصم النفس أن تزل وهبني ... حكمة فيها لا يضل جناني

واجب أنت في الوجود إلهي ... وأنا العبد في وجوده فانِ



القبة

في العمارة الإسلامية

علي عبدالله مرزوق

الرياض - السعودية

عمارة

العمارة من الفنون القديمة، التي تعد من أهم مظاهر الحيوية والرقي لدى الأمم، فبذلت الأموال وأنفقت الجهود من أجلها، وتعددت الأساليب الفنية في البناء، وتنوعت حتى أصبح لكل عصر بصمته وطابعه المميز. وعلى الرغم من هذا الاختلاف والتميز إلا أننا نلحظ تشابهاً بين فنون الأمم عبر العصور؛ لتسرب بعض الأفكار والمبتكرات الفنية والتقنية من بلد إلى آخر فالقبة أخذها المسلمون عن غيرهم، إلا أنها لاقت اهتماماً خاصاً، وعناية بالغة، فغدت من العناصر الأساسية التي يعتمد عليها في بناية المساجد والقصور، فتعددت أشكالها حتى أصبحت القبة تسمى تبعاً لشكلها الخارجي، كما تعددت الطرائق المستخدمة في تشكيلها، مستخدمين الزخارف النباتية، والهندسية، إضافة إلى بعض الآيات القرآنية، والنصوص التاريخية.

القبة كل بناء سقفه مستدير مقوس، أو مقعر

جدير بنا، ونحن نتناول القبة كعنصر معماري مهم في العمارة الإسلامية، أن نقف أول الأمر عند التعريف اللغوي للقبة، وفي نظرة سريعة إلى معجماتنا اللغوية، نجد أن مادة (ق.ب.ب) تدور حول عدة معان، ربما شكلت في أساسها الدافع إلى اختيار هذه اللفظة «قبة»، ومنحها معناها الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم، ومن هذه المعاني النتوءات والبروز، نأخذ هذا المعنى من قول الفيروز ابادي: القب العظم الناتئ من الظهر[1]، والقبة من البناء، كما يقول ابن

منظور، معروفة[٢]، وهي بناء سقفه مستدير مقوس أو مقعر[٣]. أو هي أحد الجسمين اللذين يحدثهما المستوى القاطع في الكرة. ومن هنا يظهر لنا أن مادة: (ق.ب.ب) فيها هذا، وقد أضيفت إليه التاء المربوطة من باب المبالغة، كما هي عادة أسلافنا في الدلالة على أمر معين، فيقولون عالم، وفاهم فإذا ما أرادوا المبالغة قالوا علامة وفهامة، يريدون علام وفهام. وعلى أي حال فقد استقر العرف اللغوي، والعرف في العمارة الإسلامية على استخدام هذا المصطلح على كل بناء سقفه مستدير مقوس، أو مقعر.

أما في موسوعة العمارة الإسلامية فأتت بمعنى البناء الدائري المسقط، مقعر من الداخل، ومقبب من الخارج[٤].

منشأ القباب وتطورها

المساجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تتميز بالبساطة والتلقائية من حيث البناء والخامات البدائية البسيطة، التي استخدمت في بنائها، حيث كان كل همهم أن تفي هذه المساجد الحاجة التي بنيت من أجلها، وهي إقامة الشعائر الدينية، فمسجد المدينة المنورة كان عبارة عن مساحة مربعة، استخدم في بنائه الطين والحجر، وغُطي جزء من سقفه بسعف النخيل وطبقة من الطين، يرتكز هذا السقف على بعض جذوع النخيل. ومن ذلك يظهر لنا أنه في أول الفتح الإسلامي لم تستخدم القبة في سقف المساجد، وقد يرجع السبب في ذلك إلى عدم معرفة العرب بالجزيرة العربية لطريقة إنشائها، لذلك لم تستعمل في بناية المساجد في ذلك الوقت سوى الأسقف المستوية، وكذلك عند إعادة بناء بعض المساجد لم تستعمل القباب، وعلى سبيل المثال في إعادة بناء مسجد البصرة (٤٥هـ - ٦٦٥م)، وفي إعادة بناء مسجد الكوفة (٥١هـ - ٦٧٠م)[٥].

ولما توسع العرب في فتوحاتهم التي شملت سورية، وبلاد فارس، وبلاد الرافدين، ومصر، تطلب ذلك بناء المساجد، فقاموا بتحويل الكنائس إلى مساجد جديدة في العراق، ومصر، واستخدموا في بنائها الخامات البسيطة، كالخشب والجريد وجذوع النخل. وبعد انتقال الخلافة إلى بني أمية، ثم استيلائهم على بلاد الشرق الأوسط وشمال إفريقية ازدهرت العمارة في عصر الدولة الأموية، فتم بناء المساجد الرائعة في تصميماتها، ولقد ظهر في ذلك الوقت الطراز الأموي الذي يعد أول الطرز في تاريخ العمارة الإسلامية.

وتعد قبة الصخرة في بيت المقدس من أهم آثار الأمويين الباقية وأبدعها حتى الآن، التي تعد أقدم قبة شيدها المسلمون.

يذكر فريد محمود شافعي في كتابه (العمارة العربية الإسلامية) أن القبة من العناصر المعروفة منذ آلاف السنين، ووصلتنا أشكال منها من العصر الآشوري القديم على هيئة رسوم مسجلة على الجدران. وذكر أن الأمثلة التي بقيت قائمة تعود إلى العصر الروماني، الذي انتشرت فيه انتشاراً واسعاً، ثم أصبحت من العناصر الرئيسة في الطراز البيزنطي، ثم أدت دوراً بارزاً في العمارة العربية الإسلامية.

وقد ابتكر المصريون القدامى القبة ذات الخناصر المتدلية، التي تأثر أهل بيزنطة بها، حتى ارتبطت هذه القبة بهم أكثر مما ارتبطت بالمصريين أنفسهم، وشاعت تسميتها بالقبة البيزنطية[٦].

ونتيجة لمبدأ التأثر والتأثير فقد أخذ المسلمون بناء القباب عن الساسانيين، والبيزنطيين، والقبط، وأقبلوا على استعمالها في الأضرحة حتى أطلق الجزء على الكل، وصارت كلمة قبة اسماً للضريح كله[٧]. وسواء أخذ المسلمون القباب عن الساسانيين، أو البيزنطيين، أو القبط فإن ذلك أمر طبيعي، بل ويعد من الظواهر الطبيعية التي تحدث بين الحضارات، ولكنها أصبحت من مميزات العمارة الإسلامية لما نالته من اهتمام خاص، وعناية فائقة، ولما دخل عليها من تنويع وتجديد، حتى باتت القبة من العناصر الشائعة التي لا يستغنى عنها في المساجد، والمساكن على حد سواء.

القبة في العهد الأموي

دخلت في عهد الأمويين عناصر معمارية جديدة لم تكن معروفة من قبل في العمارة المسجدية الإسلامية، ومن هذه العناصر المئذنة، والمحراب المجوف، والمنبر، إضافة إلى القبة، حيث كان أول ظهور لها في مسجد قبة الصخرة، التي تعد أول قبة شيّدها المسلمون. بعد ذلك استخدم المعماريون في العصر الأموي القباب الخشبية والحجرية، مستخدمين القطاع الطولي للمخروط، وذلك في تحويل الحجرة المربعة إلى دائرة.

«واستعملت القبة على مقياس ضيق في القصور الأموية، وكانت صغيرة الحجم، ونصف كروية، واعتمد على المثلثات الكروية لملء الفراغ في زوايا الانتقال في القباب، بين المسقط المربع والمسقط الدائري»[٨].



القبة وتأثيرات مختلفة في عمارتها

القبة في العهد العباسي

بعد قيام الدولة العباسية تطورت العمارة الإسلامية عما كانت عليه في العهد الأموي، حيث اتصفت العمائر العباسية، كالقصور، والمساجد، بضخامتها، والمساحات الكبيرة التي تحتها، وبرحابة باحتها إذا ما قورنت بمثيلاتها في العصر الأموي، وتميزت من ناحية أخرى بسماكة أسوارها المدعمة غالباً بالأبراج الدائرية الشكل، أو بالدعامات الجدارية، وتميزت القصور بشكل خاص بتعدد أجنحتها، واتساع حدائقها، وخُصت القاعات المهمة بالقباب الفخمة[٩]. كما استخدمت القبة في العمارة المسجدية، فنجدها أمام المحراب في بعض مساجد هذا العصر.

القبة في عهد السلاجقة

في العهد السلجوقي استخدمت القبة إلى جانب الأقباء، ولاسيما في تسقيف الأضرحة، وفي هذا العهد تنوعت أشكال القباب، فظهرت القباب الهرمية الشكل، والمخروطية، وقباب لها طبقات مدرجة، أو مقرنصة السطح، كالتي ظهرت في العراق والشام.

كما استخدمت القبة في البيمارستانات، إذ يعد البيمارستان النوري أحد الأمثلة لأهم المباني الباقية، ولقد شيده السلطان نور الدين في منتصف القرن السادس الهجري؛ ليكون مستشفى، ومدرسة للطب، إذ يتكون المبنى من قاعة مربعة ومسقوفة بقبة، وعلى جانبيها إيوانان صغيران معقودان بالمقرنصات، ويعتمد التسقيف على الأقباء، وهي طويلة مدببة ومتقاطعة، أما قاعة الدهليز فإنها مسقوفة بقبة من نوع جديد يظهر أول مرة في الشام شبيهة بالقباب المخروطية[١٠].

القبة في عهد الخلافة الفاطمية

تميزت العمائر الفاطمية من غيرها من المباني الإسلامية، بأن لها طابعاً خاصاً يميزها من العمارة في العصر العباسي، والأموي، والأندلسي، والمغربي حيث يتضح ذلك في المظهر العام للعمارة، كاستعمال الآجر، والحجر، ولاسيما في الواجهات، وتصميم الواجهات والبوابات، التي نالت عناية خاصة.

وبدأت في العصر الفاطمي حلقة جديدة من تطور القباب، ومقرنصاتها ظهرت أول ماظهرت في قباب السيدة رقية، والشيخ يونس، وأصبح المقرنص في هذه القباب يتكون من مجموعة من الطاقات والعقود المتدرجة، وكان قوامها طابقين، أو حطتين، وحدث تطور ثان قبيل انتهاء العصر الفاطمي، وازداد المقرنص تجزئة في قبة أبي الغضنفر، وازداد عدد الطوابق فأصبح ثلاثة[١١].

تميزت العناصر المعمارية في الأندلس وخصوصاً في قصر الحمراء بحسن التوزيع والتنويع، وتحلت بالرشاقة، ودقة النسب



لكل عصر ولكل بلد قباب تميزه

القبة في العصر الأيوبي

كان يستخدم الآجر – وهو قطع الطين المشوية بالنار – في بناء القباب في العصر الأيوبي، بينما كان يعتمد على الحجر المنحوت كمادة أساسية في البناء بشكل عام، وأحيانا في إنشاء القباب.

وقد كان التسقيف في العمائر الأيوبية يعتمد على القباب التي لحقها تطور ملحوظ، وأصبح بعضها يقوم على قبة من طبقتين من المضلعات تزيد في ارتفاعها، وشاع في القباب استعمال الطاسة المحززة، المكون سطحها من ضلوع محدبة، واستخدمت وسيلة لانتقال الحنايا الركنية، والمثلثات الكروية التي أصبحت منكسرة عند الزوايا في عمائر مدينة حلب خاصة، كذلك نجد في هذه العمائر أن وسيلة الانتقال بين المسقط المربع، والدائري تعتمد على حجارة منحوتة على شكل موشور، وخاصة عند الاستغناء عن رقبة القبة، وإقامة الطاسة مباشرة على قاعدة القبة. واستخدمت في التسقيف أيضا الأقباء التي أخذت أشكالاً متعددة منها الطويلة، والمتقاطعة، وكانت تبنى أحيانا بالحجر المنحوت[١٢].

القبة في عهد السلطنة المملوكية

كانت القباب موضع اهتمام كبير وعناية خاصة، إذ تعد من أبرز خصائص العمارة في ذلك العهد، فتنوعت أشكالها، وكسيت بالزخارف من الداخل والخارج، وزاد ارتفاعها باستخدام الرقبة العالية ذات الطبقتين، إحداهما أسطوانية، والأخرى مضلعة، كما عمد المهندس في ذلك الوقت إلى جعل طاسة القبة مرتفعة، وشكلها الخارجي محززاً.

«ويغلب أسلوب بناء القبة بالحجر في العصر المملوكي، وذلك إما على هيئة ملساء، وإما ذات ضلوع متلاصقة رفيعة، أو ذات تكوينات زخرفية محفورة، أو بارزة بروزاً خفيفاً تقوم على عناصر نباتية، أو هندسية، أو مزيج منهما»[١٣]. كما ارتفعت القباب بزيادة ارتفاع الطبلة، ولذلك ظهرت القبة البصلية، وقد تمت معالجة الانتقال خارجياً عن طريق ارتفاع الأركان، يلي ذلك طبلة بفتحات تعلوها قبة بصلية شكلت من الخارج عن طريق الدماميك[١٤].

القبة في المغرب والأندلس

يطلق على القبة في بلاد المغرب لفظة «مربوط»، ويصعب

تحديد تاريخ إنشاء الأضرحة الشعبية المغطاة بقباب في بلاد المغرب، وهي تتنوع في أشكالها في تلك البلاد. وقد تميزت العناصر المعمارية في الأندلس وخصوصاً في قصر الحمراء بحسن التوزيع والتنويع، وتحلت بالرشاقة، ودقة النسب، وباتت العناصر المعمارية، والزخرفية لا تكاد ينفصل بعضها عن بعض، فأصبح العنصر الزخرفي متمماً للعنصر المعماري. «ونجد في عنصر التسقيف تنوعاً بين الاعتماد على السقوف المستوية أحياناً، أو الأقباء التي قد تكون من الخشب أو من الآجر والجص، أو تكون طولية أو هرمية الشكل، أو يكون التسقيف بالقباب في القاعات المهمة، أو الأجزاء المربعة منها، وتبدو من الخارج بسطح هرمي مكسو بالقرميد»[١٥].

القبة في العهد العثماني

في هذا العصر أصبحت القباب العنصر الأساسي في التسقيف، يتوسطها القبة الكبيرة المركزية، وأنصاف القباب الملحقة بها، والقبيبات أو القباب الصغيرة التي تغطي الأروقة والغرف، وبعض أطراف قاعة الصلاة، وأجنحتها المنخفضة.

وتتكون القبة في العمارة الإسلامية العثمانية من طاسة كروية الشكل، تقل قليلاً عن نصف كرة، كُسيت من خارجها بصفائح الرصاص، ومن رقبة أسطوانية تميل قليلاً نحو الشكل المخروطي، أو قطاع من مخروط، وزودت بعدد كبير من فتحات النوافذ، يفصل بينها دعامات بارزة، وتبدو الرقبة من الداخل أقل وضوحاً وتميزاً عن طاسة القبة. وقد استخدمت عقود واسعة عالية، تعتمد على دعائم ضخمة لحمل هيكل القبة. هذا هو الشكل العام الكلاسيكي للقباب الكبرى بعد فتح القسطنطينية. أما قبل ذلك فكانت على شاكلة القباب الإسلامية التقليدية، رقبتها مثمنة الأضلاع، قليلة الارتفاع، يتخللها عدد قليل من النوافذ. كذلك ظلت القباب الصغيرة أو الثانوية على الصفة السابقة، برقبة قليلة الارتفاع أو من دون رقبة، طاستها غالباً نصف كروية.

أما أنصاف القباب التي جعلت رديفاً للقباب المركزية فهي على شاكلة القباب المركزية، أما واسطة الانتقال بين المسقطين المربع والدائري في أركان القباب فهو المثلث الكروي[١٦].

ونرى القباب كعنصر أساسي في التسقيف بجميع المباني الدينية، وبشكل خاص في العصر العثماني سواء كان ذلك في تركيا، أو في البلاد التي كانت تحت الحكم العثماني، ويرجع ذلك إلى تأثر مباني ذلك العصر بالعمارة البيزنطية[١٧].

ويعدّ جامع الحمدية - الذي شيد في عهد السلطان أحمد الأول - من أشهر جوامع مدينة إستانبول بتركيا، حيث غطي المربع المركزي بقبة كبيرة، كما غطيت الأواوين بأنصاف القباب.

القبة في أقاليم المشرق: (إيران، تركستان، أفغانستان)

في هذا الإقليم زاد ارتفاع القباب بجعل رقبة القبة تتألف من طبقتين من المضلعات، أو بجعلها أسطوانية، ذات ارتفاع ملحوظ، أما طاسة القبة فكانت - أحياناً - مزدوجة، أي: من طبقتين داخلية، وخارجية لها شكل مخروط، أو هرم متعدد الوجوه، أو مدببة، وتميل إلى الشكل البصلي. وشاع في عهد الدولة التيمورية بشكل خاص قباب طاستها ذات سطح محزز، أي: ذي ضلوع بارزة، وهو شكل معروف سابقاً، وجدناه في قباب الأيوبيين، لكن الضلوع في قباب هذا العهد تشبه أنصاف الأعمدة، وتبرز كلياً عن جسم الطاسة، لتنتهي في الأسفل عند رقبة القبة مستندة إليها بواسطة المقرنصات[١٨].

القبة في الهند الإسلامية

يعدّ «تاج محل»[١٩] من روائع العمارة الإسلامية في الهند، إذ تم تسقيفه بواسطة قباب داخلية لا تتجاوز سطح المبنى، باستثناء القاعة المركزية التي لها قبة أسطوانية تزيد من ارتفاعها البالغ قرابة الأربعين متراً عن مستوى أرض الحديقة[٢٠].

وتعددت أشكال القبة في الهند الإسلامية، فمنها القبة البصلية، والقبة التي يؤلف مقطعها قوساً مدبباً أو دائرياً، وسطح هذه القباب مصقول، ومبني بالرخام الأبيض في الأغلب. أما طاسة القبة فتتألف من طبقتين: داخلية وخارجية كما في قباب أقاليم

استخدم المعماريون في العصر الأموي القباب الخشبية والحجرية، مستخدمين القطاع الطولي للمخروط، وذلك في تحويل الحجرة المربعة إلى دائرة



الزخارف الخارجية من مظاهر تزيين القبة



المشرق، ولكنَّ الطبقتين هنا بينهما فراغ واسع. وما يميز قباب الهند هو ذلك العنصر الذي يتوجها، والذي يشبه الكأس المقلوب الذي تقوم قبضته مقام الرمح في القبة الإسلامية.

الطرائق المستخدمة في إنشاء القباب

استفاد المسلمون من تجارب الأمم السابقة وخبراتها في بناء القباب، ولكنهم حوروا عناصرها بما يتفق مع أساليبهم الإنشائية، ومزاجهم الفني، وعقيدتهم الإسلامية، حتى أصبحت عنصراً من العناصر المميزة للعمارة الإسلامية.

وتعددت الطرائق المستخدمة في إنشاء القباب، فمنها ما أقيم على مساقط دائرية أو مستطيلة، ومنها ما أقيم على مساقط مربعة، ومن السهل إقامة قبة ذات مسقط أفقي دائري، أما إذا أقيمت القبة على مسقط مستطيل فإن مظهرها الخارجي يتخذ الشكل البيضوي، وفي حالة المسقط المربع فإن ذلك يلزم تحويله إلى دائرة عن طريق إقامة مثلثات كروية في الأركان، أو عمل حنيات في الأركان في منطقة الانتقال، أما في العمارة الإسلامية فقد استخدمت المقرنصات في الأركان في منطقة الانتقال لتحويل المربع إلى دائرة؛ لأنه يتعذر بناية القبة فوق غرفة مربعة الشكل، فقاعدة القبة لن ترتكز إلا على شكل أربعة مثلثات مسطحة أفقية، وهذا بدوره سوف يخلق تنافراً بين قمة الجدران الأربعة، وقاعدة القبة الدائرية.

كما أن هناك أسلوباً آخر لتحويل المربع إلى دائرة، وذلك عن طريق تحويل المربع إلى مثمن يرتفع إلى الأعلى لترتكز عليه القبة. وبذلك تكون لدينا منطقة انتقال مريحة للعين من الناحيتين الإنشائية والجمالية، والانتقال من المربع إلى المثمن كان له تأثير في الشكل الخارجي للقبة، فكان يعمل ثلاث درجات، أو مستويات مائلة بالحليات، وكان منظر القبة الخارجي بسيطاً إذا استعمل الطوب

في بنايتها، أما إذا بنيت بالحجر فإن سطحها الخارجي يعالج بعمل زخارف هندسية، أو ورقية، والقاعدة الأسطوانية لها غالباً ما تحاط بشريط من الكتابة، ويعلو القبة نهاية معدنية تتوج بالهلال.

أما الخامة المستخدمة في إنشاء القباب، فقد تعددت، إذ كانوا يستخدمون قديماً الطوب أو الحجارة، ووجدت قباب خشبية في مصر كما في قبة الإمام الشافعي. وفي وقتنا الحاضر الخرسانة المسلحة هي المستخدمة في الإنشاءات الحديثة.

«وقد استعملت في القباب الحجرية الصغيرة لمقاومة الدفع الخارجي قطاعات خشبية «براطيم»، توضع أسفل القبة مباشرة عند النهاية العلوية للطنبور، كما استعملت قطع خشبية على شكل ذيل اليمامة، لربط مداميك الحجارة في القبة نفسها لمقاومة الدفع، واستعملت أيضاً في بعض القباب سلاسل حديد مع أنه يصدأ، وقد يسبب أضراراً بالغة بمباني القبة»[٢١].

وهناك ما يعرف بالإنشاء القبوي الذي أتاحه العقد، والعقد[٢٢] تنظيم لقوالب على هيئة الخابور، إذا ركبت بعضها مع بعض فوق فتحة ما أمكنها أن تتحمل ثقلاً بتحاشرها حتى تتزن، ويدفع طرفا العقد نحو الخارج إلى الجانبين، فتقاوم هذه الدفع كتلاً رأسية تسمى بالكتف المتحمل للعقد، وإذا بنيت الأكتاف مع أنصاف العقود حول دائرة، بحيث كان الواحد منها إلى جوار الآخر مباشرة كانت النتيجة غرفة مستديرة لها قبة[٢٣]. وأبسط القباب ما يقوم على هيكل من الخشب دائري الشكل يوضع فوق الجدران، ثم يبطّن ويغطّى بالملاط، وهذه هي الطريقة التي اتبعت في بناء أول قبة في تاريخ العمارة الإسلامية، وهي قبة الصخرة[٢٤].

أشكال القباب

تعددت أشكال القباب فأصبحت القبة تسمى تبعاً لشكلها الخارجي، فمنها القباب البيضوية، والبصلية، والمضلعة، والقبة نصف الكروية التي أحياناً تنتهي بجزء مدبب من الرأس، ومنها ما هو على شكل مخمس، كما أن هناك القبة المربعة «الشخشيخة» أو ملقف الهواء العلوي.

«وبالنظر إلى القباب في شمال إفريقية نجد أن أشكالها وأنواعها متعددة، فالشكل الأول في تونس يأتي على شكل قبة مستديرة تعلو قبة مثمنة ومرتكزة على قاعدة مربعة، والثاني في بلاد الجزائر ونشاهد القبة محتجبة ببعض شرفات مسننه تعلو القاعدة المربعة، والشكل الثالث يمثل الأضرحة الشعبية في بلاد الأندلس، ويلاحظ فيه أن الضريح يعلوه شكل هرمي، أما الشكل الرابع فيمثل القباب في بلاد الجزائر أيضاً والموجودة على هضبة مرتفعة، وهي بيضاوية ومدببة الرأس»[٢٥]. وفي الهند تكون القباب ذات رقاب قصيرة على شكل بيضوي أو على شكل زهرة اللوتس. أما في إيران فتأخذ القباب شكلاً بيضوياً أو بصلياً، وتغطي بالقاشاني، كما توجد في إيران قباب ذات رقاب طويلة. وعند الانتقال إلى الطراز التركي نجد أنه قد استمد أشكال قبابه من طراز قبة أياصوفيا، وهي على شكل نصف الكرة، ونجد قبة كبيرة سائدة تحيط بها أنصاف قباب[٢٦]. أما القباب التي يعلوها فانوس فنراها في مصر كما في قبة عبدالله المنوفي، وعثر على قباب مفرغة في بعض المباني الإسلامية، وخير مثال لها قبة جامع قرطبة[٢٧]. بينما نجد القباب نصف الكروية بشكل غير مكتمل، فنجدها في قباب في الطراز العثماني، وفي معظم الأحيان تحيط بالقبة الرئيسة قباب صغيرة أو أنصاف القباب[٢٨].

تشكيل القباب:

أولى المسلمون اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة بزخرفة القبة من الداخل، والخارج إذ قاموا بزخرفتها بزخارف جمعت في كثير من الأحيان بين الزخارف النباتية، والهندسية، والكتابية تعبر عن مدى ما وصل إليه المعماري المسلم من سيطرة على الناحية الإنشائية، والزخرفية معاً.

أما الألوان فكانوا يفضلون استعمال الألوان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مثل الأبيض، والأحمر، والأسود في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ

توسع العرب في فتوحاتهم، تطلب بناء المساجد، فقاموا بتحويل الكنائس إلى مساجد جديدة في العراق، ومصر، واستخدموا في بنائها الخامات البسيطة



سُودٌ﴾ (فاطر: ٢٧) [٩٢]، والأخضر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣) [١٠٢]، والأزرق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢) [١٣]، والأصفر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة: ٦٩) [٢٢].

«وقد شكلت الأسطح الخارجية في قباب العمارة الإسلامية في أغلب الأحيان بنصوص دائرية يفصل بينها مثلثات وخاصة في القباب المبنية من الطوب، أما القباب الحجرية فقد تم تشكيل سطحها الخارجي بتغطيته بزخارف هندسية، أو نباتية، أو الاثنين معاً، كما غطيت القباب في بعض البلاد الإسلامية (إيران على سبيل المثال) ببلاطات مزججة ملونة (بورسلان، أو قيشاني)، وكذلك زُين السطح الخارجي في منطقة الطمبور بآيات قرآنية ونصوص تاريخية، أما السطح الداخلي فقد غطي بالجص، وعملت عليه زخارف ملونة نباتية، وهندسية، وكتابات قرآنية، ونصوص تاريخية)[٣٣].

وما لبث الحرفيون أن ابتدعوا أسلوباً جديداً في الزخرفة هو الأسلوب المتعرج على شكل رقمي ٧،٨ متعاقبين، ولهذا الأسلوب كثير مما يميزه، إذ هو منحوت نحتاً قليل البروز، وهذا يخفف الضغط على القبة، كما أنه يوائم في يسر التناقص التصاعدي لسطح القبة، الذي يأخذ في الضيق كلما علونا، ولقد كان هذا التناقص دوماً المشكلة الرئيسة التي تصادف مصممي زخارف القباب، ثم ظهر النمط الزخرفي النجمي على شكل جدائل هندسية تلتف بأشكال نجمية، وكان هذا من أروع ما ابتكره الفن الإسلامي من أنماط، فقد كان يجمع بين أشكال هندسية منتظمة، تتلاقى فيها أشرطة ذات مسارات مرسومة متراكبة، وبعد ذلك استخدموا الزخارف النباتية والتوريقية، ثم ما لبث هذا الأسلوب الزخرفي النباتي أن شاع حتى صار فناً مرموقاً[٣٤].

كما ظهر نمط جديد يجمع بين التشكيل الهندسي النجمي، والنباتي التوريقي، الذي يغطي سطح القبة، ولم يكن تجميل القبة يقف عند نقشها من الداخل والخارج، بل كانت رقبتها كذلك تكسى بالقاشاني. «ومن طريف ما يلاحظ هو أن المعماري المسلم وجه كل قدراته الفنية الابتكارية إلى العناصر الزخرفية الجديدة، التي دخلت المساجد من دون أن تصبح أجزاء أساسية ذات وظائف رئيسة كالمئذنة، والقبة، والشرفة، والمقعد، والدكة، والمقصورة. فهذه كلها عناصر دخلت عمارة المساجد من خلال تاريخها الطويل، ولكن كعناصر زخرفية جمالية فحسب، فالمئذنة مثلاً ليست ضرورية للأذان، والقبة لا وظيفة لها في المسجد إلا في الناحية المعمارية الجمالية، وكذلك الأمر مع بقية العناصر التي ذكرناها، وإلى هذه العناصر خصوصاً وجه المعماري المسلم كل جهده في الابتكار، والزينة»[٣٥].

وظيفة القبة، واستخداماتها

القبة من المعالم الدالة على المسجد

تعد المآذن والقباب من السمات البارزة التي توضح معالم المسجد، أو الجامع الأساسية، وتشير إلى خط سماء المدينة الإسلامية، أو المواقع الإسلامية في المدينة، ومن الجميل كذلك أن نرى شكل الجامع كلمح النهاية للشوارع بالمدينة الإسلامية. وعندما غُطي صحن الجامع بالقبة أصبح لها أثر في تحديد الشكل المعماري للجامع، فأتاحت توسعة الصحن وإنارته وتهويته[٣٦]. ولأن اتساع المسجد يجعل كمية النور في وسطه قليلة، ذلك أن مصدر النور الأساسي هو الضلع الخلفي المقابل لجدار القبلة، فهذا الضلع بسبب كونه الفاصل بين الحرم والصحن، يمكن للنور أن يدخل منه إلى الحرم، أما الأضلاع الثلاثة فلم تكن تفتح فيها نوافذ، لأنها في أغلب الأحيان تكون جدراناً خارجية؛ لذا كانت القبة وسيلة للحصول على كمية من النور تخدم المسجد في وسطه وداخله، عن طريق النوافذ التي تكون في القسم الأسفل الذي تقام فوقه القبة[٣٧].

أما عندما يريد المعماري أن يعوض إحساس المصلي بعدم الانفصال عن السماء فإنه يجعل على السقف القريب من القبلة قبة

تميزت العمائر الفاطمية من غيرها من المباني الإسلامية، بأن لها طابعاً خاصاً يميزها من العمارة في العصر العباسي، والأموي، والأندلسي، والمغربي

الجامع الأموي في دمشق وتاج محل في الهند



ترمز إلى السماء[٣٨]. لذلك فالقبة تعدّ أقرب تصور للسقف المرفوع الذي يقول عنه ربنا جل وعلا في كتابه الحكيم: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: ١٠) [٣٩].

أما بالنسبة إلى استخدامات القبة فقد استخدمت في أغراض كثيرة؛ إذ نجدها في المساجد تغطي المسطح أمام المحراب، وفي تغطية مكان الميضأة، كما نرى في قبة الميضأة بمدرسة السلطان حسين بالقاهرة، وفي البيمارستانات، مثل قبة الدركاه بدمشق، وكذلك في الحمامات، كما استعملت القبة كذلك في المباني الخاصة في بعض البلاد العربية، إلا أن بعضها لم يستحب عمل القباب التي ارتبطت بالإحساس الديني في المباني السكنية، فاستعملوا «الشخشيخة» ، أو ملقف الهواء العلوى بدلاً منها[٤٠]. وفي مصر وجدت القبة في أبواب القاهرة الفاطمية، فنراها في باب الفتوح، وباب النصر، وباب زويلة، وفي برج الظفر من العصر الأيوبي، وفي مدخل قصر منجك السلحدار[٤١]. كما أن القبة قد استخدمت في بناء الأضرحة، التي تسمى أيضاً قبة أو تربة، وهو البناء الذي يقام على رفات ولي أو حاكم، وغالباً ما تلحق بالمساجد التي بناها صاحب الضريح.

نماذج لبعض أنواع القباب

- النموذج الأول: (قبة الصخرة المباركة)

كشف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بعد أن تسلم بيت المقدس عن مكان الصخرة المباركة، التي كانت مطمورة بالأتربة والنفايات، وهذه الصخرة هي المكان الذي عرج منه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء.

وفي عهد الأمويين أراد عبدالملك بن مروان بناء قبة على الصخرة المباركة فجمع الصّنّاع والمهندسين، وخصص لبنائها أموالاً طائلة. فأصبحت قبة الصخرة حدثاً فاصلاً في تاريخ العمارة الإسلامية. و(تعد قبة الصخرة المباركة أقدم قبة شيدها المسلمون في بيت المقدس، وكان ذلك سنة ٧٢هـ. في عهد عبد الملك بن مروان)[٤٢].

وذكر عبدالقادر الريحاوي في كتابه (العمارة في الحضارة الإسلامية) أن كريزويل - أستاذ العمارة الإسلامية - قد أجرى

ابتكر المصريون القدامى القبة ذات الخناصر المتدلية، التي تأثر أهل بيزنطة بها، حتى ارتبطت هذه القبة بهم أكثر مما ارتبطت بالمصريين أنفسهم، وشاعت تسميتها بالقبة البيزنطية

تحليلاً لهندسة قبة الصخرة، فوجد تناسباً متناهياً، وانسجاماً فوق العادة في كل جوانب، البناء فقال: «إن هذا أمر لافت للنظر حقاً»، كما ذكر الريحاني قول هايترلويس: «إن في قبة الصخرة روعة في النسب لم أجدها في أي بناء آخر عرفته».

إن هذا بدوره يجعلنا نشتاق لمعرفة عناصر قبة الصخرة ونسبها، ولنبدأ بمقاييسها:

من المعروف أن مسجد الصخرة يتألف من جدار خارجي شكله مثمن منتظم. طول ضلعه (٢٠,٦٩م وسطياً)، وقطره(٥٠,١٤). يليه مثمن أصغر طول ضلعه (١٥,٧٤م)، وقطره (٤٠م). ثم تأتي دائرة القبة وقطرها (٢٠,٤٠م)، ويحدث المثمن حول القبة رواقين، الداخلي عرضه(١٠,٢٢م)، والخارجي (٤,٦٣م).

أما من حيث الارتفاعات، فتتدرج من (١٢م) في الجدار الخارجي، وتنتهي بـ(٣٥م) عند رأس القبة. باستثناء الهلال الذي يرتفع أربعة أمتار أخرى.

وتتألف دائرة القبة من أربع دعائم حجرية مستطيلة يتوزع فيما بينها اثنا عشر عموداً من الرخام، تعلوها قناطر بعددها، أي ست عشرة قنطرة، نصف دائرية الأقواس، فوقها رقبة القبة، أو كرسيها، وهي أسطوانية الشكل، تنفتح في أعلاها ست عشرة نافذة. وتغطي الرقبة طاسة القبة المصنوعة من طبقتين من الخشب بينهما فراغ، وكانت مكسوة في ظاهرها بالرصاص، وفوقه صفائح النحاس المذهب، ومن داخلها بالجص المزخرف بالأصبغة والألوان)[٤٣].

أما بالنسبة إلى العناصر الزخرفية، فقد كان سطح البناء من الخارج مغطى بزخارف الفسيفساء النفيسة، ولاسيما الواجهة الداخلية للبواكي الدائرية الوسطى، وألوان هذه الفسيفساء هي

الأخضر بدرجاته المختلفة، ثم الأزرق والذهبي، وبعض درجات الأبيض والأسود والبنفسجي والأحمر والفضي والرمادي[٤٤].

ومن أهم الموضوعات الزخرفية داخل قبة الصخرة: الفروع النباتية، ورسوم لأشجار طبيعية، وأخرى محورة عن الطبيعة، وأوراق الأشجار، وبعض الفواكه كالعنب والرمان، إضافة إلى رسوم تمثل النجوم والأهلة.

- النموذج الثاني قبة مسجد صلاح الدين الكبيرة في القاهرة

(وهي نظام العقد المخموس ترتكز هذه القبة على مربع به الشخشيخة التي تشمل على وحدات نوافذ للإنارة والتهوية – نبدأ أولاً بالمربع – في أعلى أركانه شطفات تمهد إلى عنق القبة الدائري الذي يشتمل على قنديليات بينها وحدات قوائم مسلوبة إلى أعلى القنديليات بانوه يحيط بالقبة، ومحلى بالزخرفة الهندسية كما تحلت القبة بحفوات تعطي حنيات للخارج ومسلوبة إلى أعلى وتنتهي عند قاعدة الهلال)[٤٥].

- النموذج الثالث: قبة مسجد الإمام علي «رضي الله عنه»

يسمى مسجد الإمام علي «رضي الله عنه» كذلك بمسجد العقبات المقدسة، ويوجد في العراق، وهذا المسجد له قبتان قبة داخلية، وقبة خارجية، والقبة الخارجية، أكبر من القبة الداخلية،

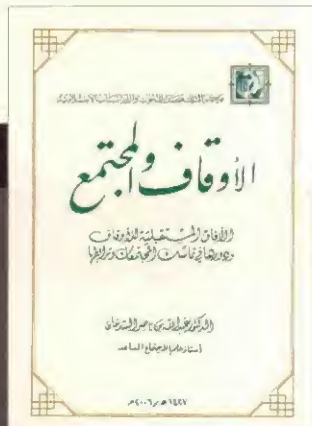
المراجع

١- الطاهر أحمد الزاوي – (ترتيب القاموس المحيط) للفيروز ابادي طباعة الباني الحلبي – الطبعة الثانية. ج٣/٥٤٦، ولسان العرب ١/٦٥٨.
٢- ابن منظور محمد (لسان العرب) طباعة دار صادر – بيروت.ج١/٦٥٩.
٣- مسعود جبران (الرائد) دار العلم للملايين – بيروت – ط٤ عام ١٩٨١م، ج٢/١١٤٩.
٤- غالب. عبدالرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط١، جروس برس، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٠٩.
٥- مصطفى صالح لمعي (القباب في العمارة الإسلامية) – دار النهضة العربية – بيروت – ص١٩.
٦- عكاشة ثروت (القيم الجمالية في العمارة الإسلامية) دار المعارف – القاهرة – ص٢٤.
٧- حسن زكي محمد (فنون الإسلام) دار الفكر العربي – ص ١٥٣.
٨- الريحاوي. عبدالقادر (العمارة في الحضارة الإسلامية) مركز النشر العلمي – جامعة الملك عبدالعزيز – جدة – ص٦٦.
٩- المرجع السابق نفسه، ص ٩٤.
١٠- المرجع السابق نفسه، ص١٨٨.
١١- فكري أحمد (مساجد القاهرة ومدارسها) دار المعارف – مصر الجزء الثاني – ص٨٥.
١٢- الريحاني. عبدالقادر (العمارة في الحضارة الإسلامية) مرجع سابق – ص ٢٥٧.
١٣- شافعي فريد محمود (العمارة العربية الإسلامية – ماضيها وحاضرها ومستقبلها) عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود – الرياض – ١٤٠٢هـ – ص ٨٩.
١٤- مصطفى صالح لمعي (القباب في العمارة الإسلامية) – مرجع سابق – ص ٢٧.
١٥- الريحاوي عبدالقادر (العمارة في الحضارة الإسلامية) مرجع سابق – ص٤٢٤.
١٦- المرجع السابق نفسه – ص٤٢٩.
١٧- مصطفى صالح لمعي(القباب في العمارة الإسلامية) – مرجع سابق – ص٢١.
١٨- الريحاوي عبدالقادر (العمارة في الحضارة الإسلامية) – مرجع سابق – ص ٥٢٤.
١٩- تاج محل / ضريح زوجة الإمبراطور شهاب الدين جاه جهان واسمها البيجوم أرجمان بانو وتلقب بـ (تاج محل).
٢٠- الريحاوي عبدالقادر (العمارة في الحضارة الإسلامية) مرجع سابق – ص ٥٩٢.
٢١- مصطفى صالح لمعي (التراث المعماري الإسلامي في مصر) مرجع سابق ص ١٠٣
٢٢- العقد عنصر معماري مقوس أو منحن، وله عدة أشكال .
٢٣- مور لامونت (العمارة) دار المعارف – مصر ط٢ فبراير عام ١٩٦٩ص٢٥.
٢٤- مؤنس حسين (المساجد) – عالم المعرفة – الكويت – صفر / ربيع الاول ١٤١٠هـ – ص١٤١.
٢٥- سامح كمال الدين (العمارة في صدر الإسلام) مرجع سابق ص١٧٢.
٢٦- الألفي أبوصالح (الفن الإسلامي) دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة – ص١٣٤، ١٣٣.
٢٧- مصطفى صالح لمعي (القباب في العمارة الإسلامية) مرجع سابق ص ٢١
٢٨- نظيف عبدالسلام أحمد (دراسات في العمارة الإسلامية) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٨٩م ص ١١٨.
٢٩- سورة فاطر (٢٧).
٣٠- سورة يوسف (٤٣).

ويوجد بينهما فراغ كبير.

«القبة الخارجية الكبيرة مكسوة بصفائح من الذهب بمقاسات معينة وهو الشكل البصلي الذي ينسب إلى القباب الفارسية والإيرانية، أما القبة الداخلية فهي محلاة بالزخارف الهندسية والنباتية، هذه الزخرفة عبارة عن قطع من البلور جمعت عليها الإضاءة وهو منتهى الجمال والإعجاز في تكسية هذه الأسقف، وهذا يدل على مهارة الصناع في تجميع هذه الزخارف الهندسية؛ ليعطي الزخرفة الهندسية للطراز، أما قبة المسجد فهي قبة خارجية وقبة داخلية ترتكزان على محور واحد»[٤٦].

٣١- سورة طه (١٠٢).
٣٢- سورة البقرة (٦٩).
٣٣- مصطفى صالح لمعي (القباب في العمارة الإسلامية) مرجع سابق - ص١٥.
٣٤- عكاشة ثروت (القيم الجمالية في العمارة الإسلامية) مرجع سابق - ص١٤٢.
٣٥- مؤنس حسين (المساجد) مرجع سابق - ص١٢٢.
٣٦- حماد محمد (خواطر حول العمارة الإسلامية على أساس من الكتاب والسنة) مطابع الشريف - الرياض - المحرم ١٤١٠هـ - الطبعة الأولى - ص٣٦.
٣٧- الشامي صالح أحمد (الفن الإسلامي - التزام وابتداع) دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى - ص ٣٠٥، ٣٠٦.
٣٨- عكاشة ثروت (القيم الجمالية في العمارة الإسلامية) مرجع سابق.
٣٩- سورة لقمان (١٠).
٤٠- حماد محمد (خواطر حول العمارة الإسلامية) مرجع سابق - ص ٣٩.
٤١- مصطفى صالح لمعي (القباب في العمارة الإسلامية) مرجع سابق - ص ٢١.
٤٢- الشامي صالح أحمد (الفن الإسلامي التزام وابتداع) مرجع سابق - ص (٣٠٦).
٤٣- الريحاوي عبدالقادر (العمارة في الحضارة الاسلامية) مرجع سابق - ص (٤٢).
٤٤- سامح كمال الدين (العمارة في صدر الإسلام) مرجع سابق - ص٢٥.
٤٥- نظيف عبدالسلام أحمد (دراسات في العمارة الإسلامية) مرجع سابق ص (٩٦).
٤٦- نظيف عبدالسلام (دراسات العمارة الإسلامية) مرجع سابق ص١١٢.



السدحان، عبدالله بن ناصر/الأوقاف والمجتمع، الآفاق المستقبلية للأوقاف ودورها في تماسك المجتمعات وترابطها .- الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٩٠ص.

يحاول المؤلف في هذا البحث توضيح أثر الوقف في بنية المجتمع، من خلال ما أدّاه ويؤديه حاليًا عبر مؤسساته المختلفة، والمتعاقبة، والمتطورة، والدور الذي أدّاه في حياة المجتمعات على مر العصور السابقة، وإبراز سمات التكاتف والتعاضد والترابط التي أحدثها الوقف بشكل مباشر، وبصورة أخرى غير مباشرة في البنية الاجتماعية عبر القرون الماضية، وذلك بذكر نماذج منها.

وقد جاء ذلك تحت عدد من العناوين، هي - بعد المقدمة: «الوقف في الإسلام»، و«مجالات الوقف الاجتماعية (نماذج مختارة)»، و«أثر الوقف الاجتماعي في بنية المجتمع»، و«الأوقاف والمستقبل»، ثم المصادر، والمراجع، والكشافات.

وأكد المؤلف أن هذه الدراسة ليست للتغني بأمجاد الماضي، ولن تكون أداة للاستغناء عنه، وإنما لكشف صورة مشرقة من جوانب ظاهرة الوقف، طالما غاب عنها القلم البحثي، وتجلية الآثار الاجتماعية لها في بنية المجتمع بمختلف مستوياته (الأسرة - المجتمع - الأمة)، ومن ثم استخلاص العبر من هذه الآثار؛ لتوظيفها في تشخيص الواقع، والانتقال إلى التخطيط للمستقبل من خلال إبراز ما كان للأوقاف من أثر اجتماعي كبير وعظيم ملموس في المجتمع بشكل عام في مناحي حياته شتى؛ لتكون دافعًا لإعادة دور الأوقاف في المجتمعات الإسلامية بشكل متجدد، وصورة فعالة كما كان سابقًا.

أخبار

وفاة شاعر الزنجية إيمي سيزير

توفي في السابع عشر من أبريل/نيسان الجاري الشاعر إيمي سيزير، الذي ظل منذ ثلاثينيات القرن الماضي رمزًا لمقاومة الاستعمار والعنصرية (الفرنسية)، وينحدر سيزير، الذي يعد أحد أبرز وجوه تيار الزنجية في الشعر الفرنكوفوني، من منطقة الإنتيل الفرنسية، وقد أثارت وفاة سيزيز في مارتينيك ردودًا واسعة في عالم السياسة والثقافة، إذ أعرب الأمين العام للمنظمة الدولية للفرنكوفونية السنغالي عبدو ضيوف عن «الحزن الكبير الذي تشعر به العائلة الفرنكوفونية». كما وجه الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي تحية إلى الشاعر الراحل معتبراً أنه «رمز الأمل لكافة الشعوب المضطهدة»، عبر نضاله «من أجل الاعتراف بهويته، وغنى جذوره الإفريقية».

وإلى جانب إنتاجه الشعري، عرف سيزير- مؤلف «مفكرة العودة إلى البلد الأصلي» -منذ عام ١٩٣٠م بخوض معارك كثيرة ضد الاستعمار والعنصرية، وكان سيزير مع الزعيم السنغالي ليوبولد سيدار سنغور، والغوياني ليون غونتران داماس من أكبر وجوه التيار الأدبي الفرنكوفوني، الذي أطلق عليه اسم «الزنجية» لتمجيده هوية السود.

وقد أسس إيمي سيزير الذي شغل منصب عمدة مدينة فور دو فرانس طوال ٥٦ عاماً (من ١٩٤٥م إلى ٢٠٠١م)، الحزب التقدمي المارتينيكي، الذي بقي رئيساً له حتى عام ٢٠٠٥م، وكان الحزب يطالب بالاعتراف بوجود مجموعة تاريخية مارتينيكية، ويدعو إلى اللامركزية.

وألف سيزير عددًا من المسرحيات، مثل: «تراجيديا الملك كريستوف» (١٩٦٦م حول الاستعمار)، و«موسم في الكونغو» (١٩٦٦م حول باتريس لومومبا). كما ألف في الشعر: «الأسلحة العجائبية»، و«الشمس المقطوعة العنق». وكتب عدداً من القطع النثرية، ونشرت له عدة كتب، أبرزها «خطاب حول الاستعمار»، الذي كان صرخة تمرد في وجه الغرب القابع على «أعلى كومة من جثث الإنسانية»، و«رسالة إلى موريس توريز» الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي سابقاً.



مهرجانات سينمائية في الجزائر ومصر والخليج

افتتح المهرجان القومي الرابع عشر للسينما المصرية فعالياته في ١٦ ربيع الآخر سنة ١٤٢٩هـ (٢٢ أبريل الجاري) بعرض فلم مجهول «حياة فنان»، وقد صُوِّر في عام ١٩٥٤م، ولم يعرض من قبل، وقد عثر عليه في أثناء جرد علب الأفلام السالبة بمخازن شركة مصر للصوت والضوء والسينما. والفلم بطولة زهرة العلا، وعمر الحريري، وسراج منير، وعبد المنعم إبراهيم، وإخراج علي فهمي، الذي حاول تطبيق ما درسه في لندن، حيث حصل على درجة الشرف، والميدالية الذهبية لأكاديمية لندن للدراما. ويتنافس على جوائز المهرجان، الذي يستمر حتى نهاية شهر أبريل ١٢٢ عملاً، من بينها ٣٠ فلمًا روائيًا طويلاً، وتبلغ قيمة الجوائز نحو ٩٧ ألف دولار.

من جهة أخرى بدأ في يوم ١٢ ربيع الآخر سنة ١٤٢٩هـ (١٨ أبريل) في مخيمات اللاجئين الصحراويين في تندوف الجزائرية مهرجان للسينما، بحضور عشرات من ممثلي السينما الإسبانية، وقد عرض فيه ٣٠ فلمًا بحضور عدد كبير من الممثلين، والمخرجين الإسبان، من بينهم خافيير بارديم الحائز على الأوسكار.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين

العدد (٣٧٩) المحرم ١٤٢٩هـ.

الفائز الأول: حمدي قرني علي أحمد - الفيوم - مصر.
الفائز الثاني: همام طلال علي أبو عاصي - إربد - الأردن.
الفائز الثالث: بشرى عبده سيف نعمان - صنعاء - اليمن.
الفائز الرابع: رغداء عبدالله محمد - دمشق - سورية.
الفائز الخامس: خليل كمال الوغلاني - حي الزهور - تونس.
الفائز السادس: ماجد بن محمد الطاسان - مكة المكرمة - السعودية.
الفائز السابع: سهاد عمر الرومي - أبو ظبي - الإمارات.
الفائز الثامن: إسماعيل حامد إبراهيم - مملكة البحرين.

حل المسابقة

العدد ٣٧٩

١- كانت بداية التقويم الهجري عام ٦٢٢م .
٢- فضل صيام يوم عاشوراء كفارة لسنة.
٣. القرقيعان هو احتفالية شعبية في دول الخليج تكون عادة في منتصف شهر رمضان.

أسئلة مسابقة

العـــدد (٣٨٢)

(١) متى وأين صدر العدد الأول من صحيفة أم القرى؟ ....
....
(٢) ماذا تعني (آريا)؟ ....
....
(٣) من مؤلف كتاب مدارك السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)؟ ....
....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....
العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مسابقة الفيصل

حل المسابقة

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً.

وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)

الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب:: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٥٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام ـ الرياض.
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

وفاه الناقد طه وادي

توفي الناقد الدكتور طه - وادي أستاذ الأدب الحديث في جامعة القاهرة، وأحد كتاب مجلة الفيصل - في يوم ٢٤ ربيع الأول الماضي (الأول من أبريل عام/ ٢٠٠٨م)، بعد عطاء أكاديمي وإبداعي ثر.
ولد في الأول من أكتوبر عام ١٩٣٧ م في المنصورة، ونال الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، وعمل بالجامعة نفسها، كما درس في أكاديمية الفنون، وجامعة المنصورة، وفرعي جامعة القاهرة في السودان، وبني سويف، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، وجامعة قطر، ومعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، وجامعة أم القرى السعودية.
وكان عضوًا في لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة، وعضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب في مصر.
وقد حصل على جائزة جامعة القاهرة للبحث العلمي في مجال الدراسات الاجتماعية في عام ١٩٨٩م.
له ١٢ عملا أكاديميًا وإبداعيًا، آخرها رواية «أشجان مدريد»، التي ترجمها إلى الإسبانية الدكتور باسم داود بكلية الألسن بجامعة المنيا.
وله - إلى جانب ذلك - أربع روايات، هي: «الأفق البعيد»، و«الممكن والمستحيل»، و«الكهف السحري» و«عصر الليمون».
وقد تناول الدكتور وادي في مؤلفاته شعر أحمد شوقي الغنائي والمسرحي، وشعر إبراهيم ناجي، وديوان رفاعة الطهطاوي، والتراث الأدبي للدكتور هيكل، والشعر، والشعراء المجهولين في القرن التاسع عشر. وقد تأثر في اتجاهه النقدي بأساتذته الدكاترة طه حسين، وشوقي ضيف، وشكري عياد، ومحمد غنيمي هلال، وقد كتب سيرته الذاتية في وقت مبكر.



ويهدف المهرجان، الذي بدأ نشاطه منذ عام ٢٠٠٣م، إلى التعليم والتثقيف والترفيه عن اللاجئين الصحراويين المتمركزين في ولاية تندوف في جنوب غرب الجزائر، منذ أكثر من ٣٠ عامًا.
ويشتمل المهرجان على ورش سينمائية، وورش تصوير، وصحافة، وإذاعة، وأفلام قصيرة، وعرض في المهرجان عدداً من الأفلام الوثائقية.
وشهد يوم افتتاح المهرجان الجزائري اختتام فعاليات الدورة الأولى لمهرجان الخليج السينمائي في دبي، الذي شارك فيه ١٤٦ فلمًا، من ٢٥ دولة خليجية، وعربية، وأجنبية. وكان افتتاح الدورة بعرض فلم «أربع بنات» للمخرج البحريني حسين عباس الحليبي.
أما الأفلام التي تنافست في المهرجان، فهي: «الدنجوانة» للمخرج الكويتي فيصل شمس، و«فرصة أخرى» لمواطنه حسن عبدال، و«القرية المنسية» للمخرج السعودي عبدالله أبو طالب، و«أحلام» للمخرج العراقي محمد الدراجي، و«صباح الليل» للسعودي مأمون البني.
وكانت المنافسة بين ٤٧ فلمًا في فئة الأفلام القصيرة، كما تم عرض ٩ أفلام ضمن فئة التحريك، كما شاركت أفلام تسجيلية تناولت قضايا منطقة الشرق الأوسط، إضافة إلى عرض مجموعة من الأفلام المتنوعة من مختلف دول العالم خارج المسابقة الرسمية.
وكرم المهرجان ثلاثة من رواد الفن في الخليج، هم: عبدالحسين عبد الرضا، وسعد الفرج، وعلي العبدول.



د. عبدالوهاب المسيري:

الصهيونية العالمية وهم كبير!

أجراه: حسين حسن حسين

قسم التحرير

الدكتور عبدالوهاب المسيري مفكر علم له إسهاماته الفكرية، وخصوصاً تلك التي تتعلق بالحركة الصهيونية، وبقضية المصطلح . وتتجاوز اهتماماته حد التنظير لتصل إلى محاولة تنزيل أفكاره وآرائه على أرض الواقع، فانغمس في الحركة السياسية منظماً وفاعلاً، وهو مع هذه الجدية التي تصبغ مسيرته يلتمس في رحاب الأدب ومضات الجمال ولمساته، التي تجعل الحياة تبدو أكثر رحابة، فاهتم بقصص الأطفال، ووجد في التراث نبعاً لا ينضب، فألبس ما فيه من حكايات ثوباً عصرياً لتتحرك شخوصه في فضاء لا حدود له، هو خليط من الماضي والحاضر والمستقبل.

وهذا الحوار الذي تم خلال زيارته للرياض لإلقاء محاضرة عن «قضية الانحياز في المصطلح» في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ليس غير محاولة متواضعة للوقوف على معالم من عوالم المسيري.

من أسعد سنوات حياتي تلك التي عشتها في الرياض، حيث كان هناك جو ثقافي رائع، فكان عزت خطاب، وعبدالعزيز السويل، وغيرهما من المثقفين.

❖ ماذا إذا تلمسنا خطواتكم في درب الفكر منذ البداية؟

- أنا من المثقفين المحظوظين، إذ إن الله سبحانه وتعالى أرسل إليّ في كل مراحل حياتي من يرعاني، ففي الطفولة كان هناك مدرس اللغة العربية وزوج شقيقتي.

أنا من أسرة تجارية ثرية لا تهتم كثيراً بالثقافة، فكان من الممكن أن أضيع، لولا زوج شقيقتي الذي اكتشف أن فيَّ شيئاً مختلفاً، فكان يشجعني، فأصدرت مجلات في مرحلة الصبا.

كما أن مكانتي الاجتماعية بوصفي ابن الحاج محمد المسيري، ومع الثروة التي ورثتها عنه هيأت لي التفرغ، على عكس كثيرين من زملائي الذين كانوا يضطرون إلى الجري وراء لقمة العيش.

وفي وقت من الأوقات تسرب إليَّ إحساس أن الثروة التي ورثتها هي التي ساعدتني على اكتشاف ذاتي، وهذا ما ولد لديّ شعوراً شديداً بالذنب، إلى درجة أنني ظللت مدة عام لا أستطيع كتابة حرف واحد، حتى اكتشفت أن لي أصدقاء أكثر ثراء مني، ولا يكتبون شيئاً، ويسعون وراء المال، فقلت لنفسي: ما دام أن الأمر كذلك، فإن المسألة ليست في أن لديّ مالاً، ولكن هناك ولاء لعالم الفكر، فتيقنت أن المال عندي أداة وليس غاية، وهذا ما يجعلني أستمر.

❖ كيف كان مستواك الدراسي؟

- لم أكن موفقاً في المدرسة، وكنت دائم الرسوب، إلى أن أعلن أستاذ التاريخ رفائيل لزملائي، قائلاً: لا علاقة لكم بالمسيري؛ لأنه عبقري. وقد أدهشني هذا الإطراء والوصف كثيراً، فحاولت أن أرتفع بمستواي، حتى يكون راضياً عني.

في الصف الخامس الثانوي علّمنا أستاذ الفلسفة إيميل جورج التفكير الفلسفي، وفي الجامعة التقيت الدكتورة نور الشريف التي رسخت فيّ مع أساتذة آخرين هذا النمط من التفكير.



الأمير تركي الفيصل ود. يحيى محمود بن جنيد يرحبان بالدكتور المسيري

وفي الولايات المتحدة، وقع المشرف على رسالتي في غرامي، إلى حد أنني كنت آخذ كثيراً من وقته، فاعتذرت له عن ذلك، وكان رده: حياتي من دونك ستكون جرداء، فاندهشت من هذه العواطف الجياشة من هذا الأستاذ البروتستانتي البارد.

وعندما عدت إلى مصر تبناني الأستاذ محمد حسنين هيكل، فعينت مباشرة في وزارة الإعلام مستشارًا له.

وكان من يتبنوني يعتقدون أنني نصف عبقري، ونصف مجنون، وكان لديهم استعداد ليتحملوني.

وعندما جئت معاراً إلى المملكة العربية السعودية، تبناني الدكتور عزت خطاب، وذلك بعد أن جئت إليها عندما قررت ترك مصر، وكنت في طريقي إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى قابلت أستاذاً اسمه الدكتور محمد الهدلق، عاملني بشكل متحضر جداً، فكان سبب تحولي إلى جامعة الملك سعود، وأتذكر أنه أراد اختبار معرفتي باللغة الإنجليزية، فاعتذر لي بأن هذا إجراء لا بد منه.

وفي هذه الجامعة ساعدني الجو الفكري على إنهاء موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، وقد هيأ لي المكان المناسب والمراجع من المكتبة، بل أتوا إليّ بالكتب المحظورة، وكنت قد بدأت الموسوعة في مصر، إلا أنها تبلورت في الرياض.

وكان رئيسي في العمل الدكتور عزت خطاب لا يشغلني بالمسائل الإدارية لمعرفته بأهمية الموسوعة.

وعموماً كانت سنواتي في الرياض هي أجمل سنوات حياتي، إذ كان هناك جو ثقافي رائع، ومفكرون على مستوى عال، ما زلت أكن لهم كل حب وتقدير.

❖ هذه المساعدات في كل المراحل دليل على أنك مستحق لها؟

- قد يكون صحيحاً، ولكن هناك من لا يجدونها، ولعلي أشير هنا إلى ما وجدته من مساعدة كريمة عندما أصبت بسرطان الدم، فقد كنت متحيرًا أعد ما في جيبي من دنانير، وأبحث عن مركز لإجراء عملية جراحية بسعر رخيص، فكتب الأستاذ عزت خطاب مقالاً في عكاظ، فإذا مكتب صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز يتصل عليّ بعد شهر مبلغاً إياي بتكفل سموه بكل التكاليف، بل عرضوا عليّ الطائرة

الخاصة لسموه، فشكرت لهم، موضحاً أن حالتي ليست إلى هذا الحد الذي يجعلني غير قادر على السفر بالطائرة العادية.
وعندما سافرت إلى الولايات المتحدة تمت معاملتي برقي لا حد له، ووضعت لي كل أسباب الراحة، وهذا جعلني لا أتوقف عن الكتابة والعمل طوال الفترة التي قضيتها مستشفياً هناك.
وفي مرحلة تالية أسهم ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز في علاجي، إلى جانب استمرار مساعدة سمو الأمير عبدالعزيز، مما يجعلني لهما من الشاكرين في تحمل تكاليف العلاج الباهظة. وهذا أسهم في رفع روحي المعنوية، واستمراري في العمل.

❖ ماذا عن تحولاتكم الفكرية التي تعبر عن المسار الفكري في إعلامنا العربي على مدى زمني طويل إلى حد ما؟

- منذ صغري كانت لديّ تساؤلات فكرية لم أكن أجد لها إجابات؛ لأن الأسرة كانت مشغولة بتفاصيل الحياة العادية كأي أسرة عربية، فكان والدي يذهب من البيت إلى العمل والمسجد، من دون أن يكون له فلسفة ما، بينما كنت أسأل مثلاً: ما أصل الشر؟ ما فائدة قتل الشر؟ وأسئلة أخرى لم أجد لها إجابة في التراث الإسلامي في ذلك الوقت، وذلك لجهلي ولبساطة من حولي، فاتجهت مثل معظم الشباب في جيلي إلى الماركسية، فاعتنقت فكرها، إلا أن الأمور بدأت تنحسر، عندما اكتشفت إخفاق النموذج المادي في تفسير ظاهرة الإنسان.
فمثلاً: وجدت أن هناك من ينادي بالمادية، ويؤمن بالقيم الأخلاقية المطلقة، مع أن المادي من المفترض أنه لا يؤمن بهذه القيم. وأخذت ألاحظ أن في الناس خيراً كثيراً، فإذا كان إدراك الشر أبعدني عن الإسلام، فإن إدراك الخير قربني منه.
وبدا لي بالتدرج أن الظاهرة الإنسانية ظاهرة غير مادية، وهذه

> **في وقت من الأوقات تسرب إليّ إحساس أن الثروة التي ورثتها هي التي ساعدتني على اكتشاف ذاتي، وهذا ما ولد لديّ شعوراً شديداً بالذنب**

> **كانت سنواتي في الرياض هي أجمل سنوات حياتي، وشكري بلا حدود لسمو ولي العهد وللأمير عبد العزيز بن فهد**

إشارة إلى ما وراء الغيب، أي إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك أقول دائماً: إن المنهج الدعوي يجب أن يبدأ من الإنسان لا من الله، لكي يصل من الإنسان إلى الله، أما إذا كانت البداية من الله مباشرة فقد يطول الطريق.

❖ كيف؟

- هناك ظواهر لا يمكن أن يكون لها تفسير في الفلسفة المادية، ومن ذلك الأمومة؛ ومثل الإنسان الذي يضحي بنفسه من أجل غيره، أو الإنسان الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى طفلاً معوقاً فيقضي كل عمره في تربيته، فمثل هذه الظواهر من الناحية المادية تبدو غير عقلانية.
ومن الأمثلة كذلك الفلسطينيون الذين يقاومون على الرغم مما يتعرضون له، ولعل هذا سبب من أسباب جنون الغرب، وتصورهم أن هؤلاء غير عقلانيين؛ لأنهم هناك لا يدركون الأشياء إلا من خلال الحواس الخمس، فهم لا يستطيعون تفسير الاستشهاد، والواجب، والمحبة، والأمومة، والتضحية بالذات؛ فكل هذه الأمور غير مادية.
ولهذا كله، فإننا نبدأ بالإنسان لنضعه على حافة الإيمان، ليهدي الله من يشاء.

❖ أليس غريباً أن يعتنق ثري مثلكم الفكر الماركسي؟

- لا ليس غريباً، لأنني نشأت نشأة دينية، والعدل قيمة كبرى في الإسلام، وهو يسعى إلى إقامته، ولولا عدم وجود من يجيب عن أسئلتي لكان الإسلام أقرب إليّ، لأنني كنت أبحث عن القيم الإنسانية العليا.
وأقول: إذا كان إحساسي بالظلم هداني إلى الماركسية، فهو الذي جعلني أتحول عنها، عندما كنت ماركسياً، كنت أشعر دائماً أنني غير منتم، وكنت أقول مازحاً للرفاق: أنا ماركسي على سنة الله ورسوله.
ومن ناحية أخرى، وجدت في الولايات المتحدة مجتمعاً يعيش تحت النموذج المادي، في بؤس وشره لا نظير لهما، ورأيت نمطاً استهلاكياً مفرطاً، وجوعاً محكماً، وشرهاً جنسياً دائماً.

❖ ما الذي يحملكم إلى القول: إن الطريق إلى الإيمان مهيأ لشباب اليوم أكثر مما كان في الماضي؟

- أنا عندما نشأت في الستينيات، كانت الحداثة الغربية بنمطيها الاشتراكي والرأسمالي تبدو ناجحة، ولكن الآن المنظومة الاشتراكية سقطت، والمنظومة الرأسمالية أفصحت عن وجهها القبيح، من خلال الحرب ضد الإسلام، وحرب أفغانستان، وحرب العراق.

وكنت أقول مازحاً: إنني لو كنت ملكاً أو رئيس جمهورية في الستينيات كنت سأطلب من الوزير إحضار (كتالوج) الدول، فكانت ستنقسم إلى قسمين، هما: الرأسمالي والاشتراكي، وإذا كنت ذكياً سأقوم بمزجهما، أما الآن، فإذا طلبت هذا (الكتالوج) سيقول الوزير: إن نصفه وقع، والنصف الثاني لا يزال قائماً، ولكن صفحاته مبتلة وقذرة تبعث على الاشمئزاز، لذلك لا بد لي بوصفي مسؤولاً أن أعمل العقل، وأبدع، وهذا ما أراه. لذا الأمر سهل على الشباب اليوم لأنه نشأ في عصر سقوط الحداثة.

❖ هل سقطت الحداثة فعلاً؟

- بالطبع سقطت، وذلك ليس رأيي، وإنما هو رأي كثيرين غيري.

❖ ماذا عن (ما بعد الحداثة)؟

- لا شيء يسمى (ما بعد).. لأن ذلك يعني نهاية، ولكن هذه العبارة، تعكس الخجل الذي يشعر به من يدافعون عن الحداثة الغربية، فقد سقط النموذج الحداثي، ولم يحل محله نموذج جديد، إلا أن هناك دلالات تتمثل في عدد من المظاهر، مثل الصحوة الدينية.

واستدرك المسيري قائلاً: إلا أن الصهاينة استغلوها، وهذا دلالة على ضيق الإنسان الأمريكي والغربي بالرؤية المادية، ولعل بروز الجماعات البيئية يوضح أنها أدركت أن الحداثة بتشجيعها الاستهلاك ارتطمت بحائط كوني، وهي تهددنا جميعاً.

❖ هل تتناسب أوضاع المسلمين وأدوارهم في الوقت الراهن مع إرثهم الحضاري؟

- هم يقولون: إن الحداثة هي استخدام العلم والعقل والتكنولوجيا في التعامل مع الواقع، وهذا تعريف ناقص؛ لأن التعريف الحقيقي لحداثتهم هو استخدام العلم والعقل والتكنولوجيا بانفصال عن القيمة، وهي Value Free، هذا هو جوهر العقل؛ وما هو منفصل عن القيمة هو منفصل عن الإنسان، ومن ثم معاد له، فتسود النسبية المطلقة، وليست النسبية النسبية التي في الإسلام.



وجدت في الولايات المتحدة مجتمعاً يعيش تحت النموذج المادي، في بؤس وشره لا نظير لهما، ورأيت نمطاً استهلاكياً مفرطاً، وجوعاً محكماً، وشرهاً جنسياً دائماً

والنسبية المطلقة تسقط كل المعايير، بينما النسبية النسبية تفتح الأجواء، ولكن تظل هناك مرجعية نهائية تتمثل في القيم الدينية والأخلاقية.

وفي غياب المعايير يظهر معيار واحد، وهو القوة فتصبح الحداثة داروينية، وهي الحداثة الإمبريالية المادية، في مقابل ذلك أطرح الحداثة الإنسانية، وهي ترى أسبقية الإنسان على المادة، وهذه يمكن توليفها من داخل المنظومة الإسلامية، ولو نجحنا في ذلك، فإننا سنقدم حلاً ليس لمشكلات المسلمين فحسب، وإنما للعالم أجمع.

وعلينا أن نعلم أن الإسلام ليس موجهاً للمسلمين وحدهم، ففي حجة الوداع كان خطاب الرسول الكريم موجهاً للناس جميعاً «يا أيها الناس»، فلم يقل: المسلمين، فالإسلام يتجاوز كل الجنسيات والعرقيات، وهو



د. المسيري يتحدث إلى الزميل حسين حسن حسين

الدين الوحيد الموجود في كل مكان؛ لأن رؤيته عالمية وكونية.

❖ ما الذي يمكن أن يقوم به المسلمون لتفعيل هذه القيم لتسود العالم؟

- أعتقد أن أهم مشكلاتنا أن التراث الفقهي مغلق بسبب لغته، ولابد من فك رموزه (شفرته).

أتذكر في أحد الأيام كنت جالساً مع بعض الإخوة، وطرح سؤال فقهي: هل الله قادر على أن يجعل الماضي كأن لم يكن؟

وبدا لي السؤال مبهماً وكوميدياً، وعندما تأملت فيه وجدته يمثل موقفاً من التاريخ، وأن الله سبحانه وتعالى عندما أعلن أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين، كان ذلك إعلاناً للإنسان أن التاريخ هو مجال حريته: من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر.. فهنا الخيار للإنسان؛ وكل واحد وما عنده.

ولكن الإشكالية في السؤال أنها طرحت بشكل كوميدي بالنسبة إلينا، لكنها تأكيد أن التاريخ ليس مجالاً للضرورة، وإنما هو مجال للحرية، فقد آلى الله سبحانه وتعالى على نفسه ألا يتدخل في التاريخ، فكلما فهمت شيئاً في التراث الفقهي أندهش وأتحسر أني غير قادر على فك (الشفرة).

❖ هل هناك استعلاء يمارسه المشتغلون بالفكر والفقه فيسبب مثل هذا الانغلاق؟

- لا أسميه استعلاءً بل هو تكلس فكري.

❖ كيف يمكن إيجاد أجيال منفتحة في ظل هذا التكلس؟

- مما يؤسف له أن هناك أكاديميين يكتفون بحفظ النصوص، بينما تجد، على سبيل المثال، مثقفاً، مثل الدكتور سعد البازعي يحول النص الإنجليزي إلى إشكالية فكرية؛ لأنه مهموم فكرياً، بينما يوجد آخرون مهمومون بالراتب الشهري.

❖ ما الحل؟

- أعتقد أن المدخل هو المنهج، لكونه الوسيلة؛ لأن عليّ أن أعطي الطالب «كيف» بدلاً من «ماذا؟» لكي يفكر بنفسه؛ لأنه إذا فكر بنفسه فسيمكنه ذلك من الإبداع، ومن ثم تجاوزي وأنا أستاذه، فالتفكير من خلال «كيف؟» أكثر ديمقراطية من التفكير من خلال (ماذا؟)، بينما إذا دخل الأستاذ محاضرته وأعطى الطالب المعلومة وحدها، فإن الطالب سيتحول إلى متلق سلبي، يحفظ المعلومة ويرددها كالببغاء، أما إذا منح الطالب المعلومات، وعرف آلية الوصول إليها بنفسه، وتحليلها فإن الأمر يختلف، ولعل هذا



الكتابة
للأطفال
محاولة للانعتاق من
المخيلة الغربية في قصص
الأطفال

ما دفعني إلى كتابة (رحلتي الفكرية)، التي أسميتها «في البذور والجذور والثمر». فالبذور هنا حققت الجذور، والثمر هو النتاج، ولم أكتف بتقديم الفكر، ولكن حاولت توضيح كيفية تشكل هذا الفكر.

ولدي كتب كثيرة عن المنهج؛ لأنه يحتل مكانة مركزية في فكري؛ لأن طريقه تحرير العقل العربي، وإطلاق طاقة الإنسان ليفكر في فضاء رحب.

❖ كيف يمكن أن يكون هناك تحيز في صياغة المصطلح؟

- بداية لا بد من الإقرار أن التحيز جزء أساسي من الظاهرة الإنسانية، وأن الإنسان لا يمكن أن يكون حيادياً، وأن كل إنسان متحيز، فالفطرة الفكرية لدى الإنسان تأتي قبل عملية التجريب، فالخريطة الإدراكية لا تنظر إلى العالم مباشرة، وإنما من خلال مخزون الإنسان الإدراكي.

ونحن من دون إدراك هذه الحقيقية، استوردنا معظم مصطلحاتنا، ويا للأسف، تعاملنا معها على أنها اصطلاحات علمية، وهي في الحقيقة مصطلحات منحازة، بل بينها ما هي ذات طابع عنصري، والحادي.

وفي رأيي أن الصياغة الإيمانية أكثر علمية من الصياغة الإلحادية، وأن الباحثين العرب والمسلمين بلعوا الطعم، ووقعوا في فخ المصطلحات الغربية، وأخذوها كأمر مسلم به، ولم نجهد أنفسنا في صياغة مصطلحات تنطلق من منظومتنا القيمية.

❖ هل هناك مثال على ما تقولون؟

- معظم المصطلحات التي استوردناها تحمل مفاهيم متحيزة، فكلمة التقدم مثلاً تعني التطور في الماديات، وهذا المفهوم متحيز إلى نظرة الغرب إلى المادة، أو اقتصار النظرة الغربية على إدراك الحواس الخمس، بينما التقدم بمفهومنا هو التوازن بين الذات والطبيعة، ومن ثم، يمكن أن يكون التقدم إيمانيًا وقيميًا وأخلاقيًا. وأيضًا مصطلح (أمة) مستورد من الغرب، وهو ليس علميًا، ولا ينطبق على أمتنا حيث الدين والتاريخ والعادات والتقاليد.



وأبرز مثال على التحيز إلى الرؤية الغربية أن هناك من قال: إن (المصادفة كانت وراء خلق العالم)، فصدقه كثيرون، وهؤلاء أشبه بقرد يجلس على آلة كاتبة، ويسطر قصيدة أبدع من قصائد شكسبير. فإذا سلمنا بعلمية ما يقولون بـ(المصادفة) نصدق وهم القرد وقصيدته، وهؤلاء الغربيون الذين قالوا ذلك، هم الذين نقضوا مقولاتهم بأنفسهم.

أما أسوأ المصطلحات فهو (الصهيونية العالمية)، فهو وهم كبير، يصيبنا بالخوف، بينما في الواقع لا وجود له في العالم، فهل هناك صهيونية في الهند والصين واليابان.

كما يتم الحديث عن حرب عالمية أولى، بينما هي ليست بعالمية، ويدور الحديث عن رجل أوربا المريض، ويقصدون الدولة العثمانية، ويغضون الطرف عن رجل أوربا النهم، وأقصد الحضارة الغربية.

ومشكلة المصطلح الصهيوني نتيجة التمركز حول الذات الأوربية، فالحديث عن الشعب اليهودي يوقع في فخ الصهيونية؛ لأنه لا يوجد شعب يهودي أصلاً، كما أن كلمة الصهيونية لا تعني شيئاً على الإطلاق؛ لأن اسمها المفترض الاستعمار الصهيوني.

ونحن نتحدث عن مشكلة صدرها الأوربيون، وهم يحاولون التخلص من اليهود، ومن ثم علينا أن نقول (الاستعمار الصهيوني الغربي) لا (الصهيونية العالمية).

حينما بدأت بدراسة الصهيونية وجدت المعجمات الأوربية تعرف الصهيونية بأنها عودة اليهود إلى أرض الأجداد، وهذا يفسر أشياء كثيرة؛ والتعريف الصحيح بعد التفسير أن الصهيونية هي حركة استيطانية استعمارية قامت بجلب اليهود من الغرب ليحلوا محل الشعب الفلسطيني، وقد نشأت في أحضان العالم الغربي.

❖ أليس للعرب أي مصطلح له مدلولاته؟

- المصطلح الوحيد الذي اخترق المجامع العالمية العلمية هو مصطلح (المقاومة)، وهو مصطلح عربي إسلامي، يعكس تجربة ثرة في الدفاع عن الهوية، ومقاومة المحتل.

❖ مصطلح العلمانية لا يزال يثير كثيرًا من اللغط، فما مفهومه ودلالاته؟

كلمة «العلمانية» هي ترجمة لكلمة Secularism الإنجليزية، وهي مشتقة من كلمة لاتينية "سيكولوم Saeculum"، وتعني العالم أو الدنيا، وتوضع في مقابل الكنيسة، وقد استخدم مصطلح "سيكولار Secular" أول مرة مع توقيع صلح وستفاليا في عام ١٦٤٨م، وهو الصلح الذي أنهى الحروب الدينية في أوربا، وكان بداية ظهور الدولة القومية الحديثة - أي الدولة العلمانية.

واتسع المجال الدلالي للكلمة على يد جون هوليوك (١٩٠٦-١٩١٧م)، الذي عرف العلمانية بأنها «الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرائق المادية من دون التصدي لقضية الإيمان، سواء بالقبول أو الرفض».

وتميز بعض الكتابات بين نوعين: العلمانية الجزئية، والعلمانية الشاملة، الأولى: هي رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية والمعرفية، والثانية: رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صرامة تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة والغيبيات بكل مجالات الحياة، ويطلق عليها أيضاً «العلمانية الطبيعية المادية»، نسبة إلى المادة والطبيعة، وهي تجلّ لما يطلق عليه "هيمنة الدولة على الدين".

وقد مرت العلمانية الشاملة بثلاث مراحل أساسية، هي: مرحلة التحديث: واتسمت بسيطرة الفكر النفعي على جوانب الحياة بصورة عامة، ومرحلة الحداثة: وهي مرحلة انتقالية قصيرة استمرت فيها سيادة الفكر النفعي مع تزايد، وتعمق آثاره على جميع أصعده الحياة، فواجهت الدولة القومية تحديات بظهور النزعات الإثنية، وكذلك أصبحت حركيات السوق (الخالية من القيم)، التي تهدد سيادة الدولة القومية، واستبدل بالاستعمار العسكري أشكالاً أخرى من الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي، واتجه السلوك العام نحو الاستهلاكية الشرهة، وفي مرحلة ما بعد الحداثة أصبح الاستهلاك هو الهدف النهائي

من الوجود، ومحركه اللذة الخاصة، واتسعت معدلات العولمة لتتضخم مؤسسات الشركات المتعددة الجنسيات، والمنظمات غير الحكومية الدولية، وتتحول القضايا العالمية من الاستعمار والتحرر إلى قضايا البيئة والإيدز وثورة المعلومات، وتضعف المؤسسات الاجتماعية الوسيطة مثل الأسرة.

والواقع أن الجدل حول مصطلح "العلمانية" في ترجمته العربية يعد إفرازاً طبيعياً لاختلاف الفكر والممارسة العربية الإسلامية عن السائد في البيئة، التي أنتجت هذا المفهوم، لكن ذلك لم يمنع المفكرين العرب من تقديم إسهاماتهم بشأن تعريف العلمانية.

❖ ماذا عن (ما بعد العلمانية)؟

- هذا المفهوم صاغه البروفسير جون كين ، وهو بالإنجليزية: Post-secularism، و"ما بعد" هنا تعني في واقع الأمر "نهاية"، وإشارة إلى أن النموذج المهيمن فقد فعاليته، ولكن لم يحل النموذج الجديد محله بعد.

وفي رأي كين أن العلمانية أخفقت في تحقيق وعودها بخصوص الحرية والمساواة، بل انتشرت العنصرية والجريمة والنسبية الفلسفية.

وتبدو الصورة قاتمة في العالم الثالث، بعد أن تحالفت الأنظمة العلمانية مع القوى العسكرية والأنظمة المستبدة، ولم تؤد إلى الجنة العلمانية الموعودة، بينما ظلت -ولا تزال- المؤسسات الدينية، والقيم المطلقة فاعلة على مستوى المجتمع، وحياة الناس اليومية، في معظم البلدان الفقيرة.

❖ كيف يمكن تجاوز قضية التحيز في المصطلح؟

- ينبغي علينا أولاً معرفة أن هناك تحيزًا في المصطلحات، وأن المصطلح الذي نستورده لا يعبر عن الحقيقة والحياد.

❖ هناك تركيز غربي في قضايا الأقليات في العالم الإسلامي، سواء أكانت أقليات دينية أم عرقية. كيف تنظرون إلى هذا الجانب؟

- أين هي حقوق الأقليات في الغرب؟ إن العالم الإسلامي فيه تنوع قومي وديني ومذهبي أكثر من الغرب، وهذا يدل على سماحة الإسلام، وقبوله الآخر، على عكس الغرب الذي لم يقبل غيره.

وإذا أخذنا المرأة مثالاً، نجدها مكرمة عزيزة في الإسلام، وهي أساس الأسرة، وعمودها، بينما تنشط في الغرب جمعيات نسوية متطرفة ترفض مفهوم الأسرة، وتطالب بإشاعة الشذوذ والانحراف والفواحش بين الناس، وهي بتصرفاتها تثير السخرية، فلا الزوج صار زوجًا، ولا الزوجة كذلك، فأصبح هناك زوج رجل وزوجة رجل، وكذلك زوج أنثى، وزوجة أنثى، ورفيق للزوجة أنثى يعيشون في منزل واحد، ليختلط الحابل بالنابل، وتضيع القيم الإنسانية بحجج واهية؛ لأن هناك خلطًا بين النسوية وحرية المرأة. فالنسوية أو الأنثوية تحاول خلق صراعات بين الرجل والمرأة ، وهو مصطلح عدلته إلى التمركز حول المرأة.

❖ ما أهم ردود الأفعال على موسوعتكم عن الصهيونية؟

- أكثر ما أسعى إليه هو فتح نقاش الفكر الهادف، الذي يضيء جوانب جديدة فيما أطرح، ولهذا حرصت على إرسال رسائل إلى كثير من المراكز البحثية في داخل العالم الإسلامي وخارجه، مستطلعًا آراء الكتاب والمفكرين، حتى لا يظل عمل بهذا الحجم حبيس الأدراج، وأرفف المكتبات. ولعل الملاحظة الرئيسة هو تجاهل نشر المؤسسة العلمية العلمانية أعمالي وكتاباتي تماماً، وحرصًا على أن يصل فكري إلى قاعدة أوسع تعمدت نشر كتابي «المفاهيم الأساسية» باللغة الإنجليزية في جريدة (الأهرام ويكلي)، إلا أن الدوائر العلمانية والإسرائيلية لاذت بالصمت الرهيب.

❖ هل صحيح أن هناك نهاية لإسرائيل؟

- نهاية إسرائيل حتمية؛ لأنها كيان مغتصب، وجيب استيطاني ينطبق عليه ما انطبق على الكيانات الاستيطانية في العالم التي انتهت.

ومواجهة الكيان العنصري الاستيطاني المحتل لن تكون إلا بالقوة المسلحة، فهي اللغة التي يفهمها هذا المحتل، أما الدخول في مفاوضات ومساومات، فلن يفيد، ولا يرجع حقًا مغتصبًا.

وأنا أعد كتابًا عن نهاية إسرائيل، أطرح فيه رؤيتي حول هذه القضية المهمة، التي يجب أن نوقن بها عقيديًا وتاريخيًا وعلميًا، ولا نعيش في حالة انهزام نفسي من صنع دعاوى الصهيونية.

❖ لماذا لا يخوض مفكر مثلكم غمار السياسة؟

- لست بعيدًا عن السياسة، فقد كانت لي علاقة بحركة (حدتو)

العلمانية أخفقت في تحقيق وعودها بخصوص الحرية والمساواة، بل انتشرت العنصرية والجريمة والنسبية الفلسفية



المعاناة الفلسطينية حاضرة في فكر المسيري



والإخوان المسلمين، وسُجنت بسبب ذلك، وكان ذلك قبل سفري إلى أمريكا للدراسة هناك، وفي العهد الناصري لم يكن هناك مجال للعمل السياسي، وبعد ذلك كنت منشغلاً بالتأليف وخصوصًا الموسوعة التي أخذت مني وقتًا طويلاً، وعندما وجدت الفرصة مناسبة كان انضمامي إلى حركة كفاية، ثم حزب الوسط الجديد، للتعبير من خلالهما عن بعض ما أومن به من أفكار تنحاز إلى البسطاء، ولإيماني بأهمية أن يتحول الفكر إلى فعل، والعلاقة بين الفكر والسياسة ليست بعيدة، فقد كان قادة الأحزاب المصرية قبل ثورة يوليو من المفكرين أمثال د. أحمد لطفي السيد، ود. محمد حسين هيكل، وعباس محمود العقاد، ود. طه حسين، وغيرهم كثر.

❖ ما القصة التي وراء دخولكم عالم الطفل؟

بدا لي أن هذا السؤال محبب إلى نفسه، ولعل ذلك في نظري أنه دفعه إلى تذكر أيام جميلة قضاها في معية طفليه، يحكي لهما، ويداعبهما، ليتواصل هذا الحب مع أحفاده، وقد يشاركني القارئ الكريم هذا الإحساس، وهو يتابع هذا السرد الجميل، الذي أجبرني على عدم مقاطعته ليستكمل الفكرة تمامًا، فهو يقول:

- بدأت الكتابة للطفل في أثناء دراستي الدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية، فعندما ذهبت إلى هناك في عام ١٩٦٣م، كانت هناك عروسة جميلة بريئة تشبه الفلاحة المصرية، وقد أحببتها، واشتريت واحدة، ولكن في عام ١٩٦٥م ظهرت باربي، من البلاستيك ذات جاذبية جنسية، ومن صفاتها أنها تغير ملابسها كثيرًا، وأخيرًا أصبح لها صديق.

وقد وجدت أنني سأزج بابنتي نور في عالم استهلاكي، والشيء نفسه بالنسبة إلى ابني ياسر، وقد أصبحت أسئلتهما تلاحقني، بينما كانت العروسة باربي التي ولع بها الناس بالنسبة إلي كابوسًا، ولم أستسغها قطّ؛ لأنها بعيدة شكلاً ومضمونًا كما هو في ذاكرتي من حكايات الأطفال، التي كانت تروى لنا في الصغر، فهي باردة، ولا علاقة لها ببنات بلدي، وهي وسيلة لترسيخ النمط الاستهلاكي، من تسويق ملابسها وصورها وملصقاتها الصغيرة على حقائب المدرسة، ثم شراء أحدث إكسسواراتها، وتطويرها، ليظل التعلق بها، والصرف من أجل اقتنائها، فهي لا هم لها غير الترويج لسيطرة الفكر الاستهلاكي، ومن ناحية المظهر تبدو مثالاً سيئًا للنحافة الزائدة، التي شاعت بين المراهقات، وأصبحت مرضًا أطلق عليه "أنوراكسيا".

ودفعني ذلك إلى قص حكايات من بنات أفكاري لطفليّ، وهي نابعة من المخزون التراثي، ومن بيئتي الثقافية.

كما أن الدب "تيدي بير" يمثل رمزًا للإمبريالية، ولا علاقتي لي به، فرفضت أن يكون في حضن ابنتي، ورفضت أن يستخدم ابني أسلحة الدمار الشامل، الممثلة في ألعاب الأطفال، من بنادق، وصواريخ، وطائرات، لذلك اخترعت شخصية الجمل ظريف، الذي يعيش معهما صديقًا، فهو مع حيوانيته، يتواصل معهم ويتحدث إليهم، ويحدثونه، وجاءتني الفكرة من قصة طريفة، فقد كان المسحراتي في رمضان يوقظنا للسحور، مرددًا أسماءنا، وكانت والدتي تحرص على إيقاظي لسماع اسمي، وقصّ في يوم حكاية مضمونها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسًا فلاذ به جمل، هربًا من الذبح؛ فأمَّنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه القصة ذات أبعاد إيمانية، وقد هزني تحول الجمل من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية.

أما (ظريف) فهو غير مدرك أنه جمل، فهو يظن أنه أخ لطفليّ، وأن زوجتي الدكتورة هدى هي أمه، وعندما تأملت علاقتي به، وجدت أنني وهو الشيء نفسه تقريبًا، فلم أستطع تحديد علاقتي به.

وقد اتفقت مع صديقي الفنان رحمي –رحمه الله– أن يعمل دمية للجمل ظريف.

وبعد أن وجدت قصص الجمل ظريف حظها من النشر، أسميت ذات الرداء الأحمر باسم ابنتي نور، وجعلتها تعيش عصرها، فهي تذهب لجدتها بالدراجة، وتصطحب معها ياسر ونديم، ونديم هو اسم حفيدي الذي أحكي له القصص؛ ولأنها لم تمر وفي يدها تفاح –كما كان في القصة القديمة، بل شاي وبرتقال– لم يلحظ الذئب مرورها، وعندما لاحظها بعد مدة، وناداها،

مسيرة المسيري

- عبدالوهاب محمد المسيري.
- ولد في دمنهور، محافظة البحيرة، مصر عام ١٩٣٨م.

الرحلة العلمية:

- ليسانس أدب إنجليزي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، عام ١٩٥٩م، وماجستير في الأدب الإنجليزي والمقارن، جامعة كولومبيا، الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٦٤م، ودكتوراه في الأدب الإنجليزي والأمريكي والمقارن، جامعة رتجرز، الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٦٩م.

الوظائف:

- رئيس وحدة الفكر الصهيوني وعضو مجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام (١٩٧٠– ١٩٧٥م)، والمستشار الثقافي للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك (١٩٧٥– ١٩٧٩م)، وأستاذ الأدب الإنجليزي والمقارن، جامعة عين شمس (١٩٧٩– ١٩٨٣م)، وجامعة الملك سعود (١٩٨٣– ١٩٨٨م)، وجامعة الكويت (١٩٨٨– ١٩٨٩م)، وأستاذ غير متفرغ بجامعة عين شمس منذ عام ١٩٨٨م، وأستاذ زائر بجامعة ماليزيا الإسلامية في كوالالمبور، وبأكاديمية ناصر العسكرية، والمستشار الأكاديمي للمعهد العالي للفكر الإسلامي بواشنطن منذ عام ١٩٩٢م، وعضو مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية في ليسبرج في فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٩٣م.

المؤلفات:

نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني، والأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، والاستعمار الصهيوني، وتطبيع الشخصية اليهودية: دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية والممارسات الإسرائيلية، والجمعيات السرية في العالم، وأسرار العقل الصهيوني، وموسوعة تاريخ الصهيونية في ثلاثة مجلدات، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد في ثمانية مجلدات، ورحلة إلى جزيرة الدويشة، والأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى، وانهيار إسرائيل من الداخل، والموسوعة الموجزة.

وله عدد كبير من البحوث والمقالات، وقد ترجمت أعماله إلى عدد من اللغات، كما كتبت دراسات عنها.

الجوائز وشهادات التقدير:

نال المسيري كثيرًا من الجوائز وشهادات التقدير منها: شهادة تقدير من جامعة القدس بفلسطين المحتلة، عام ١٩٩٥م، وشهادة تقدير من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، عام ١٩٩٦م، وشهادة تقدير من كلية الشريعة والقانون، جامعة القاهرة، عام ١٩٩٩م، وشهادة تقدير من جريدة آفاق عربية بالقاهرة، عام ١٩٩٩م، وجائزة سوزان مبارك لأحسن كاتب لأدب الأطفال، عاما ٢٠٠٠م و٢٠٠٢م، وجائزة أحسن كتاب، معرض القاهرة الدولي للكتاب عن كتاب رحلته الفكرية، عام ٢٠٠١م، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ٢٠٠٤م.

هربت منه لعلمها بالقصة القديمة، وعندما لحق بها عند جدتها متنكرًا، هجم عليه أصدقاء نور، وضربوه، وهزموه، ثم أعطوه بعض الطعام، وأمرته الجدة بتنظيف الحديقة، ليهرب بعد ذلك عائدًا إلى الغابة، ليكمل قصته القديمة التي ينتصر فيها، فهو هنا انهزم بفضل ذكاء نور وأصحابها.

وفي الختام يحمل البساط السحري نور والدراجة وأصحابها إلى المنزل، ولأن الطفل يعرف أنه لا يوجد بساط سحري فهو يضحك، والبساط هنا رمز يربط الطفل بالقديم.

وفي مرة ثانية تستقل نور المترو، كما أن نور تهدي السندريلا فستانًا أخضر، فلا يعرفها الذئب، وتنتهي القصة بأن يقفز الذئب داخل الكتاب، قائلاً: هذا هو العالم الذي أعرفه.

كما جعلت السندريلا مثقفة وذكية، والأمير يتزوجها من دون حاجة إلى أن تجرب فردة الحذاء، لأنه أعجب بثقافتها وعقلها، وأحبها، وفي القصة أدخل الديك حسن الذي يحاول إضحاك الناس في حفل الزفاف.

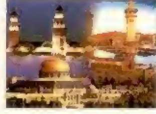
وعن رؤيته لهذه القصص، أضاف: هذه القصص وظفت فيها التراث، وما قرأته من أدب الغرب، ومزجت فيها بين الواقعية والخيال، والكلاسيكية والمعاصرة، وأرى أن من الخطورة الاعتماد على قصص الغرب؛ لأنها تحمل أفكار كتابها، ورائحة بيئتها، وقيمها، كما لا يجب أن نسلم أولادنا إلى الأجهزة الإليكترونية، بل علينا انتقاء قصص من موروثنا الأدبي، والقصص القرآني، وفيها لا شك متعة لا تضاهى.

❖ ألم تفكروا في أن تتحول هذه القصص إلى قصص مرئية متحركة؟

– حقيقة هذا العالم جميل، ويستحق أن يكون متاحًا في شكل أفلام متحركة، وهو على عكس توم وجيري المتصارعين طوال الوقت، إشارة إلى أيديولوجية الصراع.

❖ هل هذا يتم بقصد؟

– في العلوم الإنسانية نحكم على الظاهر، وكنت أحاول توصيل ذلك إلى طلابي، وكنت أسوق هذا المثال: في الصباح ألقيت قصيدة جميلة في ذم الخمر، فنلت مكافأة قدرها عشرون جنيهًا، وفي المساء شاهدوني في بار وأنا أحتسي خمرًا، فهل هذا يعني فقدان القصيدة جمالها؟



المملكة العربية السعودية وفلسطين: بحوث ودراسات/ إعداد: دارة الملك عبدالعزيز.- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٥مج (٣٦٧٣ص)، (إصدارات دارة الملك عبدالعزيز؛ ١٩٢).

يضم هذا الكتاب البحوث التي ألقيت في ندوة المملكة العربية السعودية وفلسطين: التاريخ والمصير، التي نظمتها دارة الملك عبدالعزيز في ٢٧ – ٢٩ المحرم سنة ١٤٢٢هـ الموافق ١٢ – ٢٢ أبريل/نيسان عام ٢٠٠١م، وقد تناولت هذه البحوث المنطلقات السعودية الثابتة للاهتمام بالقضية الفلسطينية، وعرضت المواقف والجهود التي بذلها قادة هذه البلاد والمجتمع السعودي لخدمة الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وبيَّنت العطاءات السعودية الحكومية والشعبية التي بذلت بسخاء للوقوف إلى جانب أبناء فلسطين، وألقت الضوء على الموقف السعودي من الهجرة اليهودية وتقسيم فلسطين، وإحراق المسجد الأقصى.

وقد ضُمَّ إلى هذه البحوث كتابان وثائقيان سبق أن أصدرتهما الدارة مصاحبين أعمال الندوة، وهما: وثائق المملكة العربية السعودية: «القضية الفلسطينية ١٣٤٨ – ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٩ – ١٩٥٣م»، و«مؤتمر فلسطين العربي البريطاني المنعقد في مدينة لندن في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٥٧هـ الموافق للسابع من فبراير عام ١٩٣٩م: محاضر جلساته، وتقارير لجانه مترجمة عن اللغة الإنجليزية».

وقد انتهت الندوة إلى عدد من التوصيات، منها:

– إنشاء «مركز القدس للدراسات والبحوث» بدارة الملك عبدالعزيز؛ ليعنى بالدراسات الفلسطينية.

– نشر الوثائق ذات الصلة بموقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية وترجمة الأجنبية منها إلى اللغة العربية، ضمن مشروع دارة الملك عبدالعزيز الخاص بالوثائق التاريخية. بالدراسات الفلسطينية، وغير ذلك من التوصيات.



إيقاع الحياة .. غير الترتيب

فاضل السباعي
سورية - دمشق

وأما الزقاق الذي أعنيه، فيقع شمال«الجامع الكبير» بحلب. سُمّي في بداية الفتح الإسلامي بـ«السهلة»؛ وفي عهد سيف الدولة «درب البازيار»، نسبةً إلى رجل دخل بلاط الأمير الحَمْداني نديماً، قادماً من «سُرّ مَن رأى»، وكان يؤلّف الكتب، ويتعاطى لعب الجوارح (البزاة)، كما يقول النديم في «الفهرست»؛ ودخل الزقاق، في أواخر القرن التاسع عشر، تاجر لؤلؤ من البصرة، ينتمي إلى «بني زهير»، فتزوج من إحدى البنات فيه، وعَمَّر فيه مسجدًا، وسُمّي المسجد والزقاق باسم محرَّفاً:«زقاق الزهراوي»، ولقُربه من الجامع الكبير، هذا الذي تحيط به من جهاته الثلاث الأخرى الأسواق، فقد عُدّ موضعاً شريفاً. وقد سكن فيه - منذ الفتح - أشرافُ الأمة، منهم «سليمان بن عبدالملك»، و«عمر بن عبدالعزيز»، قبل أن يصبح كلّ منهما خليفة بين خلفاء بني أمية.

في أيام «السفر برلك»، قَدم جدّي الحِمْصيُّ إلى حلب مُجنَّداً، ولاذ بأقارب له يسكنون هذا الزقاق، فرعاه «الدكتور نافع» (ابنُه اليوم الدكتور هشام السباعي)، وأسكنه بقربه. وبعد انتهاء الحرب ببضعة عشر عامًا، وُلدتُ، أنا، في هذا الحيّ، في بيت كان جدي قد ابتاعه من مواطن يهودي(أقول هذا لأؤكّد أنّ اليهود كانوا جزءاً من نسيج المجتمع في بلادنا).

وماذا عن البيت؟

دارٌ عربية، «أرض حوش»، تحفّ بها الغرفُ، أرضيّةً وعُلويّة. بركة في وسطها نافورة تستمدّ ماءها من مياه «القناة»، أشجارٌ وزروع. أرى جدتي تجلس القرفصاء، قريباً من حافة البركة، وتروح تُفَلّي كلّ زرعة، تنفي هذه الورقة الذابلة، وتستبعد ذلك العرق اليابس، وتنقل هذا«الشقف» إلى حيث شمسٌ أكثر أو أقلّ، ثم تنادي عليّ لأسقي الزرع، بسُطُولٍ أسحب ماءها من الجبّ عبر «الطُرُمْبَة» في مكان من الدار، ثم أتلقّى من جدتي كلمة طيبة: هذه الزرعات سوف تدعو لك بالخير.

في مروري في الزقاق، كنت أعرف، من سكّانه، أسرة الأميري،

ومنهم الشاعر الصوفي «عمر بهاء الأميري»، وأمّر ببيت مفتي حلب آنذاك «الشيخ عبدالحميد كيالي»، وإلى جواره بيت الخانجي، ومنه خرج الدكتور «علي أسعد خانجي» من كبار السفراء في وزارة الخارجية؛ وبيت الباذنكجي، وأسمح لنفسي بأن أستطرد فأقول إنه، في مقابل مدخل الزقاق، كانت «الزاوية» التي يتصدّرها الشيخ «اسحق الكيالي» وفي كَنَفه وُلد ونشأ حفيدُه الفنان التشكيلي، الذي رحل شابّاً «لؤي كيالي» عام (١٩٣٤-١٩٧٨).

ولن تفوتني الإشارة إلى أنه، قريباً من الزقاق، يقع «خان الوزير»، و«المطبخ العجمي»، من معالم حلب الأثرية. وعلى مرمى حجر، هناك البيت الذي كان يسكنه شاعر العربية الأكبر «المتنبي» ، في أيامه الحلبيّة الحمْدانية. زقاق شريف، وعريق، وغنّي برجاله ورجالاته.

ثلاثة عشر عاماً طفولة، قضيتُها في هذا الزقاق. أدوس بلاطه، وأجوس منعطفاته، أدقّ أبوابه، أعرف من يسكن وراء كلّ باب، أطفالهم في مثل سنّي، أو أكبر. ترتسم على بعض الأبواب عبارة «حجّاً مبروراً وسعياً مشكوراً». زينات، وزغاريد، وأعراس، ونحيب، وبكاء على عزيز رحل.

حنينٌ، بعد أن غادرنا هذا الزقاق، يجرّني إليه، وإنّ الحنين ليزداد بعد أن سكنت دمشق. جريت على أن أزور الزقاق كلما قدمت إلى حلب، أمرّ على الديار، إذا كنت لا أجد مسوّغا لأن «أُقَبّل ذا الجدارَ وذا الجدارا». فإني أستروح فيه عبير أيام، تقضّت وخلّفت ذكريات.

فيه كنت ألعب مع رفاق الحي ... أين هم اليوم؟

لقد ذهب الرفاق، والزقاق تغيّر!

ذلك أنه، لقُرب الزقاق من الأسواق، ولازدياد الحاجة فيها إلى مزيد من الأماكن والمحالّ، فإنّ تّجار البناء استطاعوا، بألسنتهم الطليّة، وأيديهم السخيّة، أن يُغْروا السكان بالارتحال ... وإذا البيوت هُجرت، والأبواب اقتُلعت، والجدران قُوِّضت، وقامت مكان كّل بيت، واحداً بعد آخر، دكاكينُ، وجدتها غير متراصفة، ولا مترادفة. لقد تحولت الدار الواحدة إلى «سوق»، يضمّ مجموعة من هذه الدكاكين، والجدران، التي لم أُقَبلها، غابت. وعلى جبين الزقاق عُلّقت لافتة كبيرة تقول: «سوق الزهراوي»، لقد أضحى الزقاق سوقًا! وا ضيعةَ الذكريات!

إني لأمشي اليوم في هذا الزقاق... ومن شدة الزحام فإن الأكتاف تتلاطم، والمناكب تتلاحم، ولا أتنشق في مشيي صيفاً إلاّ الغبارَ المتصاعد والعرق، وعطنَ الطين في الشتاء، وأما الأرض التي أطأ، فهي في غير استواء، أحار بين أن أجد مكانًا لي في زحمة العابرين، وبين أن أتبّين موطئًا لقدم!

والبيت؟ البيت، ذو الأشجار والزروع، والبركة والنافورة، رأيته ينعىَ ساكنيه الذين كانوا، والغرف فيه، قد تداعى منها جدارٌ هنا، وهبط سقفٌ هناك، وشاغلوه، أصحاب المشغل العتيق، لا هم قادرون على ترميمه، ولا هم يرغبون في تركه.

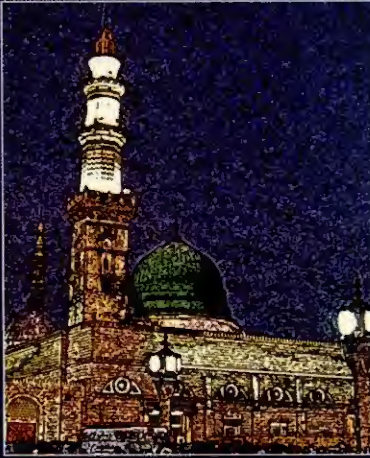
انه إيقاع الحياة، غيرُ الرتيب.

أو ... لعله الإيقاع الأكثر رتابةً، في زمننا هذا، وأنا لا أدري.

عبد الوهاب بن ناصر الطريري

لوحات نبوية

زوايا جديدة لقصص السيرة





كتاب الإسلام اليوم
26

مؤسسة الإسلام اليوم

إدارة الإنتاج والنشر

المملكة العربية السعودية الرياض

ص. ب.٢٨٥٧٧

الرمز : ١١٤٤٧

هاتف: ٩٦١١.٢٠٨١٩٢٠ فاكس: ٩٦١١.٢٠٨١٩٠٢

جدة:

هاتف: ٩٦١٢.٦٧٥١١٣٣ هاتف: ٩٦١٢.٦٧٥١١٤٤

بريدة:

هاتف: ٩٦١٦.٣٨٢٦٤٦٦ فاكس: ٩٦١٦.٣٨٢٦٠٥٣

info@islamtoday.net

www.islamtoday.net









عندما تطير الألوان!!

الفراشات حشرات تتمتع بجمال فتّان. ألهب أخيلة الشعراء والفنانين. وكان قدماء الإغريق يعتقدون أن الروح تخرج من الجسد على شكل فراشة بعد الموت. لذا كانوا يرمزون إلى الروح بفتاة لها أجنحة فراشة.

وتتميز الفراشات بقدرتها على العيش في مختلف البيئات. وهي ذات أشكال وألوان مختلفة. بل إنها تتلون بكل ما يمكن تخيله من الألوان. وإذا عرفنا أن هناك أكثر من ٢٠٠٠ نوع من الفراشات. يكون السؤال: كم من ألوان تطير في هذا الفضاء الفسيح؟